معارك اسلامية حاسمة



٢

اليرموك

بقيادة خالد بن الوليد

تأليف
شوقي أبو خليل



(طبعة ثانية)

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م




بسم الله الرحمن الرحيم



ناولت مجاهدة مسلمة ولدها
الصغير سيفا ، فرآه قصيرا ...
فقال : « انه قصير يا اماه » ،
فقالت : تقدم يا بني خطوة فيطول !..

● بهذه الروح ، وهذه النفسية ، وهذا الايمان ، جابه اجدادنا العرب أعداءهم . بهذه الكلمات وأمثالها ، وبما تحمل في طياتها من عقيدة راسخة ، ويقين خالد ، تعجز فلاسفة الدنيا وعلماؤها من ايفائها حقها من التحليل ، جابه العرب المسلمون قوى البغي ، وانصاف الآلهة ، ومراكز الظلم والاستعباد .

● بمثل هذه الروح ... جابهوا أعداءهم في جبهتين معا وفي آن واحد ، جابه الاجداد جبهة الفرس شرقا وجبهة بيزنطة غربا وشمالا ، وهم حديثو العهد بالحروب وما في هذه المجابهة من خطر كبير ، فدول العالم اليوم ـ جميعها ـ تخشى أن تفتح جبهتين أو يفتح عليها جبهتان في آن واحد ، ولكن العرب الذين صقلهم الاسلام كانوا بشرا ولكن لا كالبشر ، بشر دخل الايمان في قلوبهم فصار واحدهم كأنه محور هذا الكون ...

كيف لا يحققون الانتصارات وهذه الروح نفحها بهم رسول الله (ص) أليس هو القائل ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **والذي**

نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو في سبيل الله فاقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » (١)

وما الغزو في عرفنا الحاضر ؟ !...

الغزو كما أراده الاسلام : محاربة للدعة والتواكل والطبقية ، ونشر لمبادىء الانسانية . محاربة للفقر والجهل ، ونشر للعلم والتقدم . محاربة للرذيلة والتفسخ ، ونشر للفضيلة والتماسك والمحبة ، محاربة لعبودية الانسان للانسان ، ونشر للتحرر والتحرير ولا معبود الا الله الخالق وحده ... فمن قام يغزو في سبيل هذه المثل العليا التي ارادها الله ، علم النبي (ص) منزلته عند الله ، فتمنى أن يغزو فيقتل ثم يغزو فيقتل ...

● وبفضل الله تعالى وعنايته وتوفيقه ، تم تأليف وطبع الجزء الاول من :

« **معارك اسلامية حاسمة** » والذي كان عنوانه (**القادسية**) . وهذا ـ عزيزي القارىء ـ الجزء الثاني (**اليرموك**) بين يديك وسيليه باذن الله الجزء الثالث وهو معركة (**نهاوند : فتح الفتوح**) وما جرى من فتوح في جبهة **الفرس** .

● هذه المعارك التي شهدت من البطولات ما يجعلها تقترب من الخيال وهي الحقيقة واليقين ، **كيف لا يسطر اجدادنا البطولات** وهم الخارجون للشهادة ، وللشهادة فحسب ؟ **كيف لا يحققون نصرا**

---

(١) رواه ابو هريرة (البخاري ومسلم) .

يتلوه نصر على مر الزمن ، وكل فرد منهم عظيم في ذاته ، على تواضعه ؟ كيف لا ؟... وكان الفرد يفعل الفعلة التي تكسبه مجدا وشهرة أبد الدهر ، ثم يخفي اسمه ولا يعلنه قانعا بثواب الله وكفى ؟...

- لقد انكرت نفوس الفاتحين ذاتها ، وخالفت هواها في سبيل خدمة الانسان والمثل العليا ، ما السبب ؟

السبب : تربية القرآن باشراف النبي ، أو من ناب عنه من كبار المربين . ولو درسنا **عظماءنا** في تاريخ المجد والانتصارات الرائعة ، لوجدنا الى جانب كل حياة **قائد عظيم** ، المربي الكبير ، والمعلم الحكيم . واذا أردنا ان يعيد التاريخ نفسه ، **فلنطبق** قوانينه ... قال تعالى : ((**وان عدتم عدنا**))(١) وقال : ((**ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم**))(٢). وورد في الاثر انه : ((**لن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح عليه أولها**)) ، فهل لنا - معشر العرب والمسلمين - أن نلتقي مع ورثة الانبياء ، الذين يفيضون علينا العلم والحكمة والحياة والسعادة؟ بعد تطهيرهم لنفوسنا من عبادة الذات ، وأسر الشهوات ، وفكاكهم لنا من أسر الاستعمار الفكري الذي قيدنا بمركب النقص الفولاذي ، فأوحى الينا ان ننبذ اسلافنا ونهمل تاريخنا و ... بداعي اهمال كل قديم .

● كيف لا تكون معارك الاجداد ملاحم انتصارات وبطولات ؟ ومن

---

(١) الاسراء ١٧/١

(٢) سورة الرعد ١٢/١٣

خاض هذه المعارك باع دنياه بآخرته ؟ كيف لا ؟ .. والمؤمن المجاهد يقول : الله أكبر ... فما يكاد يسمعها الا وتطير به روحه ، شوقا الى لقـاء الدار الآخرة ؟ !...

● لقد كبر المجاهدون قائلين : الله أكبر ... ولو كان الصوت الصادر منهم نورا ، لملأ بين الفجر والضحى ، وأي زمـام اقوى روحانية ، وأشد وأوثق من زمـام هذه العبارة ؟ !..

« الله أكبر » كانت دقات في ساعة الاسلام لموعد جميل بهيج ، تحنو الروح اليه وتهفو ، انه موعد مع احدى الحسنيين : اما النصر واما الشهادة . فكانت روح المجاهد المؤمن – والروح اسمى من المادة الدنيئة – تجيب لبيك ربي ... لبيك ربي ...

● كيف لا يحقق الاجداد البطولات الخارقة والايمان الذي في قلوبهم جاء في قوة اخلاقه ، وصدق يقينه كشباب الفجر ، يبعث حياة النور الانساني ، والتحرر البشري ، بعثا جديدا بعد ان طمست الانسانية وأظلمت آفاقها الروحية ؟ .

● كيف لا تكون معارك الاجداد خالدة خلود الدهر ، وهم الذين تركوا الشهوات ومتع الدنيا ؟ والشهوات والمتع ما هي الا حصر النفس في جانب من الشعور محدود : متع – هموم – لذات – جزع ... فتجعل غرض الانسان في الانسان نفسه ، فتسخر منه حقائق الكون ، خرج الجند من جزيرتهم ، واتساع ذاتهم اتساع الكون . فلو ملك أحدهم الدنيا بمالها وخيراتها ، يبقى همه الشهادة . ملكه وغنائمه كلها في نظره زائلة ؛ فأصبحت نفسه

« كالمنخل » يوضع الدقيق الناعم فيه ليخرج منه ، فيمسكه كله ولا يملك منه شيئا ...

● كيف لا يسطر الاجداد البطولات وهم الذين راوا في ارادة رسول الله (ص) النقطة الثابتة ، وقطب الرحى ، فيما يتضارب من خيالات في النفس ؟ فكانوا اكبر علماء في الاخلاق على ارضنا هذه ، لا من كتب ولا فلسفة ، بل من قلب رسول الله وما أوحى الله اليه في القرآن ...

● كيف لا تكون « اليرموك » ملحمة عز وفخار ؟ وقد خرج اليها المجاهد من جزيرته وكأنه يمشي في الحياة الى الجنة ، بخطوات مسددة ، لا زيغ فيها ولا انحراف ؟ وهو الذي خرج وهو يعلم أن دنياه هي الدنيا كلها بشمسها وقمرها ، يملكها وان لم يملك منها شيئا ، مادامت في قلبه طبيعة السرور والبهجة والرضى ، فكل ما أمكن بيده ، فهو الغنى الكامل ، قوته في روحه ، فيندفع الجسم بقوى خفية جبارة عنيفة ... فكانت البطولات والانتصارات ...

● كيف لا تكون « اليرموك » ملحمة عز وفخار وكان المجاهد فيها يضرب بالسيف في سبيل الله ــ فتقع ضربات السيوف على جسمه فتمزقه فيصيح : **« فزت ورب الكعبة »** ؟ كأنه يحس هذه الضربات وكأنها قبل أصدقاء طال غيابهم ، فيلقونه ويعانقونه ...

● كيف لا نفخر بهذا التاريخ ، وبهذه المعارك ، ومعنويات من خاضها في علوها لا توصف ، وفي عزتها لا تقارن ؟ . الم يقل خالد في اليرموك : **« والله وددت أن « الاشقر » براء ، وانهم اضعفوا**

العدد ؟ !.. و « الاشقر » هو فرسه تمنى أن يكون فرسه سليما بريئا من مرضه ، وان الروم ضعف عددهم .

فعلى بركة الله – يا أخي – سنمضي في هذه السلسلة « **فلعل الفارس يعلو ظهر جواده ثانية ، ويعيد لامته عزتها ثانية** » .
ومن هو الفارس ؟ الا ... أنا وانت – أيها القارىء العزيز – ولا يكون ذلك الا حينما نعود لمدرسة القرآن ، فنجعل منه غذاءنا الفكري والروحي ، ونتخذ من سيرة النبي وأصحابه قدوتنا وأسوتنا ، ولا نكون أقل من بذرة الشجرة الطيبة حين تحمل كل الصفات الوراثية الجميلة من أمها العظيمة ... لعل الابناء يتذكرون تاريخ الاجداد فينهجوا نهجهم : عزيمة وايمانا ، عدلا ومحبة ، انسانية ووجدانا ، وحدة وتحررا ، علما وعرفانا .

● ترى !!!...

انشاهد بأم أعيننا رايات العروبة المؤمنة تسد السماء ؟ نشهدها تزدحم في الآفاق خفاقة ؟ تختال زهوا فوق الجيوش ، لتأخذ مكان الصدارة على قبب العواصم وفوق القلاع والجبال ، ونرى أمتنا من خليجها الى محيطها متوحدة متحررة متماسكة ؟؟..

– **باذن الله** ... ستعاد مثل هذه المعارك الحاسمة مع عدونا الصهيوني الخبيث ستكون معركة واحدة حاسمة ، معه ومع من خلفه من استعماريين وامبرياليين ، وسيسطر جنودنا وأبطالنا الاشاوس صفحات خالدة في العز والبطولة ، سيذكرها التاريخ كما ذكر معارك غيرها ، وما معركة « تل الفخار » في حزيران ١٩٦٧

الا دليلا على أن الابناء سيكونون كالآباء ، وسيعرف العــالم كله ان امل الدولة المسخ في البقاء ، كأمل الظمىء الذي يطلب شربة ماء من سراب .

● فتحية اعجاب ، واحترام ، واجلال ، وخشوع ، وتقدير ... الى ابطال :

القادسية ـ اليرموك ـ نهاوند ـ ذات الصواري ... وتحية حب وتقديس الى الابطال الذين ظللتهم الرايات الاولى ... وتحية حب وتقديس الى الابطال الذين ستظللهم الرايات عما قريب وهم يدخلون الى « قدسنا » لاعادتها الى حظيرة الامة ...

فالى « اليرموك » والى « خالدها »
وعلى بركة الله .

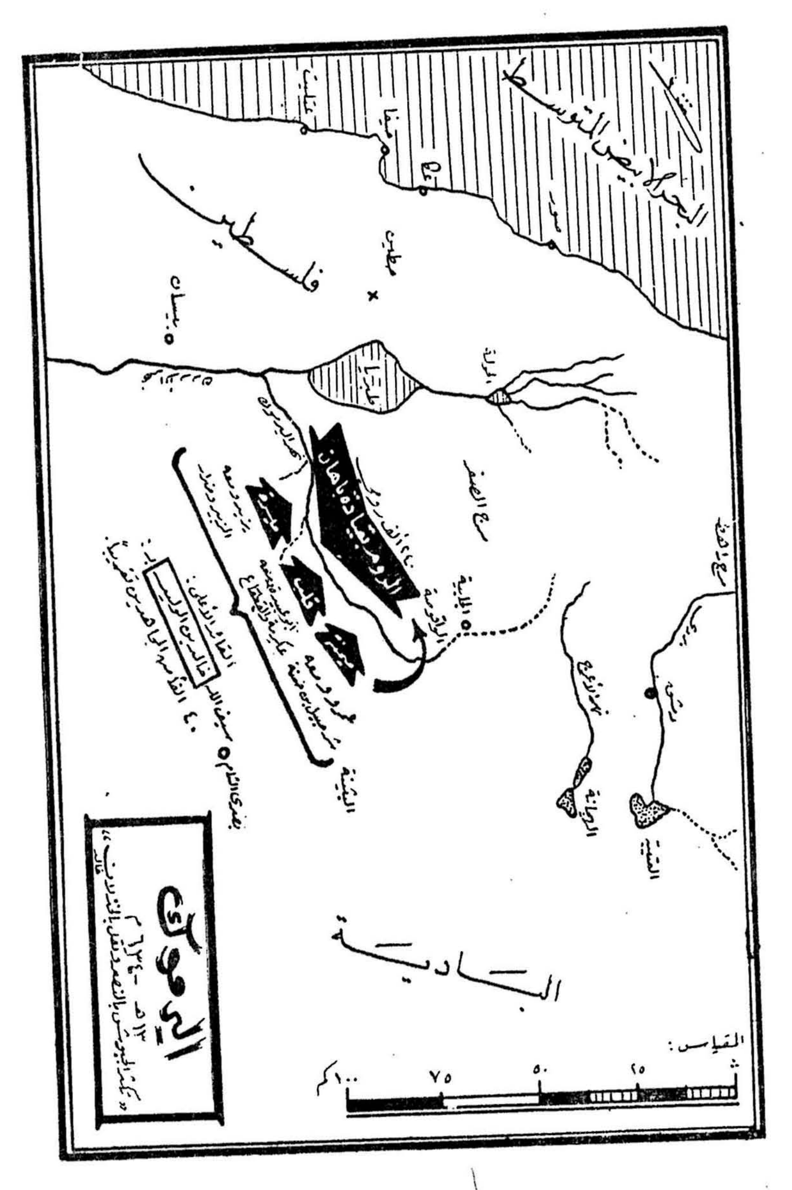
المؤلف :

شوقي أبو خليل

دمشق :

٢٦ شعبان ١٣٩٠ هـ

٢٦ تشرين الاول ١٩٧٠ م


البحر الأبيض المتوسط
فلسطين
الروم بقيادة باهان
قلب
ميمنة
ميسرة
خالد بن الوليد
اليرموك
البادية
القياس :
٢٥
٥٠
٧٥
١٠٠ كم

دولة الرّومان

مفلحة

واول اشتباك معهم « مؤتة » .

كانت دولة الروم ، الدولة الثانية في عظمتها في العالم كله ، تناصي دولة الفرس في سعة الملك ، وقوة السلطان ، وازدهار الحضارة ، ولما قسم « تيودوسيوس » : ٣٩٥ـ٤٠٨م ، الامبراطورية الى قسم غربي وآخر شرقي ، كان نصيب القسم الشرقي لابنه « رقاديوس » ، وسميت دولته « بدولة بيزنطة » ، فاذا اوردنا كلمة : بيزنطة ، او الروم ، او البيزنطيين ، فالمعنى واحد ، نريد به الدولة البيزنطية الشرقية التي عاصمتها القسطنطينية ، ولا شأن لنا في هذا الكتاب بدولة الروم الغربية التي عاصمتها روما .

توالى القياصرة في القسطنطينية حتى حكم « هرقل » الذي كان قبل أن يتولى الملك واليا في افريقية ؛ ثم خرج متمردا على « فوقا » فقتله وتوج بعده بالملك سنة ٦١٠ م ، وكان تحت كنفه بالشام العرب اللخميون ، وبنو تغلب ، واياد ، وبنو بكر ، وبنو عذرة ، وبنو عدوان ... وهرقل هو الملك الذي سقطت من يده سورية بيد المسلمين الفاتحين .

ومناوشات المسلمين مع الروم بدات منذ ايام رسول الله (ص) ،

بدأت بعد أن ارسل النبي (ص) رسائله الى ملوك وحكام البلاد خارج الجزيرة العربية يدعوهم فيها الى الدين الحنيف ، والاهتداء بنوره ، وترك الوثنية وظلم الانسان لاخيه الانسان ، فلا عبد ولا سيد مستعبد ، فكان رد بعضهم طيبا « كالمقوقس والنجاشي » وكان رد البعض الآخر قاسيا ، فقد طرد كسرى الوفد الذي كان برئاسة الصحابي الجليل : عبد الله بن حذافة السهمي ، أما امير الغساسنة الذي يهمنا في هذا الكتاب أمره ، والذي كان خاضعا للبيزنطيين وأسمه « الحر ثبن أبي شمر الغساني » فقد قبض على رسول رسول الله (ص) فقتله ، قتل الامير الغساني رسول النبي وهو : « الحارث بن عمير الازوي » وليس هكذا تعامل الوفود ، لا قديما ولا حديثا ، فكان لزاما على النبي (ص) ارسال جيش للاقتصاص من الامير الغساني الذي لم يعرف آداب ولياقة استقبال الوفود ، كان لا بد من الجزاء لهذا الامير الذي تناسى وعن عمد أن الوفود لا تقتل مهما عملت ، ومهما تكلمت ، فهذا عرف دولي تجاهله وتغافل عنه ، قتل الامير الغساني « الحارثَ » وهو يقول : **((من ينزع مني ملكي ، أنا سائر اليه))** ، فكان من المحتم تسيير جيش ليفهم الامير ان أمر هذه الامة قد تبدل ، واستكانتهم أصبحت قوة محررة فاتحة ، كان من الضروري خروج جيش من جزيرة العرب كي لا يغزى الاسلام في عقر داره تطاولا وسوء تقدير من الامير الغساني .

لما سبق ، سير النبي (ص) في جمادى الاولى سنة ٨ للهجرة، (٦٢٩ للميلاد) جيشا متواضعا من حيث العدد ، ضخما من حيث

اليقين والايمان ، سير صلى الله عليه وسلم جيشا بقيادة شاب يافع ملأ الايمان قلبه ، وملأت محبة رسول الله جميع ارجاء روحه انــه « زيد بن حارثة » ، وقال النبي (ص) ان أصيب زيد فجعفر ابن ابي طالب على الناس ، فان أصيب جعفر ، فعبد الله بن رواحة على الناس » ، سار الجيش بقيادة زيد ، وعدده ثلاثة آلاف فقط ، **وودع زيد رسول الله والدموع في عينيه ، لا خشية الموت لانــه خارج لملاقاته ، بل دمعت عيناه ، لانه استشف في روحه وقلبه انه لن يرى رسول الله في هذه الدنيا بعد يومه هذا .**

سمع الروم بقدوم هذا الجيش الذي خرج اليهم ، فأعدوا له عدة كأنهم يعدونها لدولة الفرس ، فكان مجموع ما جمعوا من الروم والعرب (٢٠٠ الف) على أقل تقدير ، وكيف تتمكن فئة عددها (٣ آلاف) فقط ان تجابه هذه القوة ؟

لقد رتب رسول الله قواد المعركة ، فعلم المسلمون ان الغيب ربما يخفي شيئا ، فكان هذا الظن في خلد كل مسلم في المدينة المنورة ، خاصة بعد ان تأخرت الاخبار ، فالجميع في حاجة الى اخبار مطمئنة من رسول الله ، وفي مقدمة الجميع أهــل بيت القواد الثلاثة .

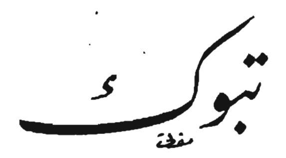
جلس النبي (ص) في محرابه مسجده الشريف ، بعــد صلاة عصر وقد ادار وجهه الطاهر الكريم الى المصلين ، وقد علته الحمرة ، وغلبته الرعشة والحزن ، فارتاع المسلمون لمشهد رسول الله ، وكأنه ينظر بعينيه الى ملحمة حامية تدور رحاها بين ثلاثة آلاف من

جنده ، وبين مائتي الف من أعدائه ، وكادت الدائرة تدور على جنده ... فأخذ يقول صلوات الله عليه والمسلمون في دهشة وعجب :

ـ أخذ الراية زيد بن حارثة ، فقاتل بها حتى قتل شهيدا ... ثم أخذها جعفرٍ ، فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، وصمت برهة ، فتغيرت وجوه الانصار ، انهم جميعا يريدون استشهاد عبد الله بن رواحة لكسب هذا الشرف العظيم ، وظن الانصار انه قد كان في عبد الله بن رواحة ـ وهو منهم ـ بعض ما يكرهون ... ولم يطل الانتظار حتى استأنف رسول الله حديثه فقال : **ثم أخذها عبد الله ابن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا** ... عند ذلك هتف الانصار من أعماقهم : الله اكبر ، فرددت معهم جنبات المسجد : الله اكبر .. انهم خشوا الا يشاركوا المهاجرين « وزيد وجعفر مهاجران » فخر الاستشهاد في هذه الغزوة ، فكان فرحهم بشهادة عبد الله ، بمقدار حزنهم على فراقه وفقده .

ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ألا وهو : **خالد بن الوليد** ، الذي تراجع بالجيش فظن الروم والعرب انها خدعة فانسحبوا ، وخالد هذا ـ رضي الله عنه ـ سيكون بطل « اليرموك » لقد تمكن خالد بمهارته وحنكته الحربية أن ينسحب ، ولم تجرؤ الروم على مطاردته خوفا من كمين ينصب لهم في الصحراء .





« لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة ... » ٩/١١٧ .

« صدق الله العظيم »

تطاول الروم وظنوا بأنفسهم ان النصر قد تحقق لهم ، ويطمعون الآن أن يسحقوا الدعوة في مهدها في المدينة ، فترامت الانباء الى رسول الله (ص) أن الروم يحشدون قواتهم على حدود فلسطين للزحف على المدينة ، فجهز صلى الله عليه وسلم جيشا في رجب من السنة التاسعة ، ويسمى هذا الجيش بجيش العسرة لان التأهب للخروج كان في زمن عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على هذا الحال من الزمان الذي هم فيه ولكن امر الرسول أحب اليهم من ثمارهم وظلالهم فأنفق الكرام ما يتجهز به ضعفاء الحال .

خرج رسول الله (ص) حتى وصل بجيشه وقدره (١٠ آلاف) الى تبوك ، وهناك جاء النبي « صلى الله عليه وسلم » يحنة بن رؤبة صاحب « ايلة » ، فصالح واعطى الجزية . ثم جاء أهل « جرباء » واهل « أذرح » فأعطوا الجزية ، والجزية هي مقابل الحماية ،

لنتمعن مثلا كتاب النبي (ص) « لحينة » : (بسم الله الرحمن الرحيم : **هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله لحينة بن رؤبة وأهل ايلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل البحر ..))(١) .**

ثم بعث النبي (ص) وهو بتبوك خالد بن الوليد الى « أكيدر » وهو في دومة الجندل ، فذهب اليه واسره ، وجاء به الى الرسول (ص) فحقن له دمه وصالحه على الجزية ، ثم اخلى سبيله فرجع خالد الى « دومة الجندل » وبقي « أكيدر » عليها أميرا .

أقام المسلمون بتبوك بضع عشرة ليلة ، لم يجدوا أثناءها أي جيش رومي ، حيث انسحب شمالا خوفا ورعبا من الثأر ، فرجع الجيش الى المدينة ، وهذه الغزوة آخر مرة خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم محاربا غازيا .

كما جهز صلى الله عليه وسلم جيشا بقيادة « أسامة بن زيد » ليسيره الى الشام لكن النبي الكريم لحق بالرفيق الاعلى قبل تسييره لجيش اسامة .



---

(١) في الجزء الاخير من هذه السلسلة ، سنوضح ونناقش معنى وواقع بعض الكلمات مثل : الذمة والجزية ... باذن الله ...

مظاهرة قوة

« الا لا يبقين بالمدينة أحد من جند اسامة الا خرج الى عسكره بالجرف »

ولما تولى أبو بكر الخلافة كان اول عمل قام به انه أرسل مناديا ينادي : ليتمّ بعث أسامة ، الا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة الا خرج الى عسكره بالجرف . فكيف أرسل أبو بكر هذا الجيش والناس يقولون له : قد امتدت العرب ، اما عامة واما خاصة في كل قبيلة ، ونجم النفاق ، واشرابت اليهود والنصارى ، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم وقلتهم ، وكثرة عدوهم ، ان هؤلاء جل المسلمين والعرب — على ما ترى — قد انتقضت بك ، فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين ، فقال ابو بكر : والذي نفس أبي بكر بيده ، لو ظننت إن السباع تخطفني ، لانفذت بعث اسامة كما امر به رسول الله (ص) ولو لم يبق في القرى غيري لانفذته !

وحاول الانصار تأخير الجيش لتوجيهه الى حرب المرتدين ، فأبى الصديق ، قال عمر للصديق . يرى الانصار لو امرت(١) رجلا اقدم سنا من أسامة ، فوثب ابو بكر — وكان جالسا — فأخذ بلحية

(١) يظهر هنا تقدير الاسلام للشباب .. كيف ان على اكتافهم تبنى الدول ، فهذا أسامة الشاب قائد جيش فيه كبار الصـ من حيث القدر والسن .

عمر وقال له : ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله (ص) وتأمرني أن انزعه ؟ فخرج عمر الى الناس ، فقالوا له : ما صنعت ؟ فقال : ثكلتكم أمهاتكم ! ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله ؟ .

خرج الصديق وشيع الجيش ماشيا (١) وأسامة راكب ، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر ، فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله والله لتركبن او لانزلن ! فقال الصديق : والله لا تنزل ووالله لا أركب! وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة، ثم وقف الصديق يحدد بكلمات واضحة خالدة : انسانية حروب امتنا فكأنه وضع دستورا لحروب هذه الامة سيكون نهجا نفخر به ، اذ هذا الفكر لم تصل اليه الدول حتى في ايامنا الحاضرة ، قال الصديق :

« يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ولا تغلوا(٢) ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعقروا(٣) نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا انفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها الوان الطعام ، فاذا أكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها . وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها

---

(١) تظهر في هذه الصورة « اخلاق رجل الدولة وتواضعه » دون ان ينقص ذلك من قدره شيئا ، بل العكس هذا يزيده خلودا ورفعة وتقديرا ...

(٢) من « اغلّ » خان . ولا تغلوا لا تخونوا .

(٣) عقر النخلة : قطع رأسها .

مثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف خفقا . اندفعوا باسم الله » .

ركزت على تسيير هذا الجيش لسببين :

● **الاول :** ان هذه الوصية لم يعهد العالم مثلها ، لقد شهد العالم فاتحين كثر ، ولكنه لم يشهد مثل انسانية الفتوحات الاسلامية(١) كلمات أبي بكر في وصيته دستور فتوحاتنا ، وهي غاية الحرص على الارواح ، وارقى غايات الانسانية في الحفاظ على الثروة الطبيعية ، فهي تنطق بصريح العبارة : الا تقاتلوا الا جند الاعداء ، ولا شأن لكم بالاطفال والشيوخ والنساء ، كيف لا تكون هذه الكلمات دستور فتوحات هذه الامة وقد توجت بـ « لا تخونوا ولا تغلوا » ؟ وجند الفتح لن يخونوا ولن يغلوا مَنْ ؟ اعداءهم !!... فكيف بينهم ؟ انهم صفوة البشر ، وكفاهم فخرا انهم خاضوا فتحا وحربا مع انسانية واحترام للشعوب ، لا ... بل لزرعهم وثروتهم الحيوانية ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكله ، فهنيئا للامم بعدالة الاسلام ورحمته التي شملت حتى الحيوان .

● **والسبب الثاني :** ان الصديق علم علم اليقين ان العرب في ردة ، وهو بحاجة الى هذا الجيش ، جيش أسامة ، فليس من قال للصديق : « فليس ينبغي لك ان تفرق عنك جماعة المسلمين » قصير النظر ، لا ، فمن قال هذا كان بعيد النظر ، ولكن الصديق أبعد منه نظرا، يريد افهام من يطمع بهذه الامة ابادة وخسفا ـ خاصة

---

(١) سنقارن في الجزء الاخير من هذه السلسلة حروبنا العربية الاسلامية مع الحروب الاخرى التي شهدها العالم ، لنرى هل هذه الحروب انسانية خيرة ؟ وهل كان الاسلام في فتوحاته انسانيا خيرا كما نقول ، أم ان انسانيته لها حدود ؟

بعد سماعهم انباء الردة ـ ان هذه الامة راسخة البنيان ، قوية في ذاتها ، متينة رغم الردة ، فليس فيها ما يجعل خليفتها يؤخر جيشه ليسير الى الاعداء ، يريد اقناع وافهام الدولتين الكبيرتين **ـ فرس ، وروم ـ** أن لو كان أمر الردة أمر جلل ، لاحتفظت بهذا الجيش ، بل لو كان الامر جللا ومن الاهمية بمكان وكان الجيش خارج الجزيرة لاستدعيته لتهدئة الاحوال الداخلية ، **أليس الصديق رضي الله عنه أمام مظاهرة قوة ،** مظاهرة دعائيةأفهـم بها الروم والفرس ان دولته بخير والامر غير ما يتصورون ، رضي الله عنه من أي مدرسة او اكاديمية حرب تخرج ؟

هذا خارجيا ... اما داخليا ، فبالتظاهرة نفسها ، أفهم الصديق المرتدين والمتنبئين وأقنعهم بانه من القوة بشكل يجعله يقضي على دجلهم بسهولة ، وانه لديه من القوات ما يكفيه حربهم وحرب الـروم معا ، أقنعهم ان لديه فائضا سيره باتجاه الروم ، فماذا عمل رضي الله عنه بمعنوياتهم ؟ الم يحطمها ؟ الم يشعرهم بثقته بنفسه ، ويقينه بالنصر ؟ وأشعرهم بضعفهم وغوغائيتهم !

رضي الله عن الخليفة الاول ، لقد درس هـذه الفنون الحربية النفسية وهذه الخطط الرهيبة من « اكاديمية حربية » خـالدة ، درسها من رسول الله (ص) . وفي الحقيقة ، لم يكن تقدير الصديق خطأ ، بل هو عين الحكمة ، ومحض الصواب ، واخيرا لا يغرب عن ذهننا ، انه **بتسيير جيش اسامة ، طاعة ما يعدلهـا طاعة ، انها طاعة الصديق لامر رسول الله (ص)** فالنبي هو الذي جهز هذا الجيش وعقد عقاله وانى للصديق حل هذا العقال .



تسيير الجيوش الى الشام ، انها الرايات الاربع ، امام الوية اربعة ، على راس كل منها ليث من ليوث هذه الامة ، يزحف امام اشباله وقد خرجوا من العرين متحفزين ...

بعد الانتهاء من حروب الردة وتسيير خالد من « اليمامة » الى العراق في سنة ١٣ هـ . جهز الصديق الجيوش الى الشام ، بعث عمرو بن العاص الى فلسطين ، وسير يزيد بن ابي سفيان وابا عبيدة ابن الجراح وشرحبيل بن حسنة آمرا اياهم أن يسلكوا تبوك علـى البلقاء الى الشام . وكان عدد كل لواء من هذه الالوية الاربعة ، ثلاثة آلاف ثم توالت لكل لواء فيما بعد النجدات .

وصل الامراء الى الشام ، فنزل ابو عبيدة « الجابية » على طريق دمشق ، ونزل يزيد البلقاء مهددا « بصرى » ، ونزل شرحبيل الاردن بأعلى الغور فوق طبرية ونهر الاردن — وقيل نزل في بصرى— اما عمرو فقد وصل الى وادي « عربة » .

عين الصديق لكل منهم الولاية التي يتولاها بعد الفتح ، فجعل لعمرو فلسطين ، وليزيد دمشق ، ولابي عبيدة حمص ، ولشرحبيل الاردن .

سار الامراء الليوث الى أهدافهم ، وعكرمة بن ابي جهل ردء[1] للناس ، فبلغ الروم ذلك ، فكتبوا الى هرقل ، فجاء من حمص ، أعد هرقل الجند وجمع العساكر ، وأراد أن يشغل قواد المسلمين بعضهم عن بعض لكثرة جنده وفضول رجاله ، اراد ان يحاربهم متفرقين لكن عمرا تنبه للامر ، خاصة بعد ان ارسل هرقل أخاه « تذارق » في تسعين الفا ، فوصل « تذارق » (ثنية جلق ، بأعلى فلسطين) . كما بعث هرقل « جرجة بن توذرا » نحو يزيد ابن ابي سفيان فعسكر بازائه ، وبعث « الدراقص » فاستقبل شرحبيل بن حسنة ، وبعث هرقل أيضا « الفيقار بن نسطوس » في ستين الفا نحو أبي عبيدة ، فهابهم المسلمون وخاصة ان جميع ألويتهم تعد واحدا وعشرين الفا باستثناء عكرمة فهو في ستة آلاف أيضا ، فالمجموع سبعة وعشرون الفا ، فسأل الجميع بكتب مستعجلة عمرا بن العاص : أما ما الراي ؟ فكاتبهم وراسلهم ان الراي الاجتماع وذلك ان مثلنا اذا اجتمع لم يغلب من قلة ، واذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد يقرن[2] فيه لاحد ممن استقبلنا وأعد لنا ، لكل طائفة منا ، فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا به .

كما كتب الامراء الى أبي بكر بمثل ما كاتبوا عمرا ، فطلع عليهم كتابه بمثل راي عمرو ، أن اجتمعوا فتكونوا عسكرا واحدا ، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين ، فانكم أعوان الله ، والله ناصر من نصره ، وخاذل من كفره ، ولن يؤتى[3] مثلكم من قلة ، وانما يؤتى

---

(1) ردء لهم ، معين وناصر وداعم لهم .

(2) أقرن له : اذا غلب عليه .

(3) يؤتى : يغلب او يهزم .

وتغلب العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف اذا اتوا من تلقاء الذنوب فاحترسوا من الذنوب واجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل رجل منكم باصحابه .

بلغ ذلك هرقل فكتب الى بطارقته ان اجتمعوا لهم ، وانزلوا بالروم منزلا واسع العطن(١) ، واسع المطرد(٢) ، ضيق المهرب ، وعلى الناس التذارق وعلى المقدمة جرجة وعلى مجنبتيه « باهان » و « الدراقص » وعلى الحرب الفيقار ، فابشروا فان « باهان » في الاثر مدرءا لكم . ففعلوا فنزلوا الواقوصة — وهي على ضفة اليرموك — وصار الوادي خندقا لهم ، وهو لهب(٣) لا يدرك ، وانما اراد باهان واصحابه ان يستثبت الروم ، وترجع اليهم افئدتهم عن طيرتها وتشاؤمها .

انتقل المسلمون من عسكرهم الذي اجتمعوا به ، فنزل عليهم بحذائهم على طريقهم ، وليس للروم طريق الا عليهم ، فقال عمرو : **ايها الناس ، ابشروا ، حصرت والله الروم ، وقلما جاء محصور بخير!** اذ ان الروم تتحرك في منبطح فسيح من الارض تحيط به من ثلاث جهات الجبال المرتفعة ، فهم محصورون ، بقي المسلمون امامهم صفر من سنة ثلاث عشرة وشهري ربيع لا يقدرون من الروم على شيء ولا يخلصون اليهم ، اللهب — وهو الواقوصة — من ورائهم ،

---

(١) العطن : في الاصل مبرك الابل ومربض الغنم حول الماء ، والمراد هنا انزلوا مكانا فسيحا فيه ماء .

(٢) المطرد : الطويل ، يقال يوم مطرد ، يوم طويل والمراد هنا مكان فسيح طويل.

(٣) لهب : بكسر اللام : الفرجة بين الجبلين .

والخندق من أمامهم ، ولا يخرجون خرجة الا اديل[1] المسلمون منهم ، حتى اذا سلخوا شهر ربيع الاول ، وقد استمدوا ابا بكر وأعلموه الشأن في صفر ، فكتب الى خالد ليلحق بهم ، وأمره ان يخلف على العراق المثنى .

علم الصديق خطر المعركة ، وحرج الموقف ، وقلة عدد جيشه ، وكثرة عدد جيش عدوه ، فاختار لهذه المعركة الحاسمة : بطل حروب الردة ، وقاهر الفرس ، وسيف الله المسلول ، وقال ابو بكر لاصحابه : ((**خالد لها**)) **ثم قال رضي الله عنه كلمات ما قرأتها مرة أو سمعتها ، الا ولمست فيها العزة ، ورأيت فيها الكرامة ، واستشففت منها أسمى معاني الكبرياء قال : والله لانسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد** ، وكتب الصديق لخالد : سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فانهم قد شجوا واشجوا[2] .



(1) اديل لنا على اعدائنا ، أي نصرنا عليهم ، وكانت الدولة لنا .
(2) أي ان المسلمين ضاقوا بعدوهم ، وضيقوا عليه ، والشجا : الغصص ، فكأن بعضهم لبعضهم كالشجا في الحلق .

الطريق إلى الشام

« خالد : ان المسلم لا ينبغي له ان يكترث لشيء يقع فيه مع معونة الله له ... » .

ـ من ايــن الطريق الى الشام ؟ فخالد بحاجــة الى طريق قصير امــين !

كان على خالد ان يختار بين طرق عــدة :

١ ـ اما ان يتخطى البادية من « عين التمر » الى شمال الشام ، ولكنه طريق ـ مع قصره ـ خطير حيث كان العرب في تلك الجهات موالية لهرقل ، فالاشتباك معهم يؤخر الجيش ويرهقه .

٢ ـ أن ينحدر الى الجزيرة العربية ثم يسير بنفس طريق عكرمة وابي عبيدة ، فهو طريق آمن لا تحفه المخاطر ـ كالطريق الاول ـ الا انه طويل ، فيمنع خالد من سلوكه تشوقه للوصول حيث نجدة المسلمين ولقاء الروم .

٣ ـ أن ينحدر بجيشه من « عين التمر » الى « دومة الجندل » وهذا طريق سلكه خالد سابقا فعرفه أيام غــزوة تبوك ، وعرفه يوم نجدة « عياض بن غنم » وهــو الطريق البعيــد عن المخاطــر

ـ وخاصة خطر القبائل الموالية لهرقل فاذا قابلهم أضاع الوقت معهم وتأخر ـ فسلك خالد هذا الطريق ، جاء من « عين التمر » الى دومة الجندل ثم الى وادي السرحان فتوقف وقال : كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جمع الروم ، فاني ان استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين ، فأجابه رجاله : اننا لا نعرف الا طريقا لا يحمل الجيوش وانما يأخذ الفذ الراكب ، فاياك أن تغرر بالمسلمين ، أي ، ليس في هذا الطريق مياه كافية ، تفي بحاجة جيش عدده تسعة آلاف .

هذا تحذير له خطورته ... ولكن عزيمة خالد تذلل مشقة وخطورة هذا الطريق ، ان ارادة خالد تقوى وتزيد وتشتد بزيادة الصعاب حتى تذللها ، فأجاب خالد رجاله : **لا يختلفن هديكم ، ولا يضعفن يقينكم ، واعلموا ان المعونة تأتي على قدر النية ، والاجر على قدر الحسبة ، وان المسلم لا ينبغي له ان يكترث لشيء يقع فيه مع معونة الله له »** .

فأثارت كلمات خالد هذه ، حمية جنده فقالوا في تسليم المستيقن أن المعونة من الله : « أنت رجل قد جمع الله لك الخير فشأنك » . فطلب خالد من رافع بن عميرة الطائي ان يقود الناس ، فقال رافع : (انك ـ يخاطب خالد ـ تطيق ذلك بالخيل والانفال ، والله ان الراكب المفرد يخشى فيها على نفسه ، انها لخمس ليال لا يصاب فيها ماء) ، وعلى الرغممن ذلك ، وعلى الرغم من كلام رافع ، عاد خالد يؤكد ما استقر عليه رأيه : « لا بد والله من ذلك فمر بأمرك » .

وسقط في يد رافع ، ولم يجد مفرا من التنفيذ ، فقال : « استكثروا اذن من الماء من استطاع منكم أن يصر اذن ناقته على الماء فليفعل ، فانها المهالك الا مادفع الله ، وهكذا نرى ان الطريق خطير ، ولكن خالدا ورافعا بقي قلباهما متعلقين بالله وبفضله للخلاص من هذه الطريق بخير وسلام .

وجاءوا بابل سمان(١) وظمأوها ثم اوردوها الماء ، فلما امتلأت صروا آذانها وشدوا مشافرها(٢) لئلا تجتر ، وانطلق الجيش بقيادة سيف الله وارشاد رافع بن عميرة .

وكانت رحلة يكفي وصفها بكلمة « قاسية » ...

فكان الجند كل يوم ينزلون عن خيلهم ، فيأكلون ويشربون ثم يشقون بطون الابل ويخرجون منها الماء فيسقون الخيل ، وفي اليوم الخامس نادى خالد على رافع : « ويحك يارافع ما عندك ؟ » فقال رافع : « خير ادركتم الري ان شاء الله وانتم على الماء » ثم قال رافع : « ايها الناس ، انظروا علمين(٣) كأنهما ثديان » ، فلما اتوهما قال : « انظروا هل ترون شجيرة من عوسج كقعدة الرجل ؟» قالوا : « ما نراها » ، قال : « انا لله وانا اليه راجعون ، هلكتم اذن والله وهلكت .. لا أبا لكم ... اضربوا يمنة ويسرة » فنظروا فوجدوا الشجرة وقد قطعت وبقيت منها بقية ، فقال رافع : « احفروا في أصلها » فحفروا ونبع الماء ، فقال رافع عندما نبع

---

(١) وعددها عشرون جزورا .

(٢) مشافرها : مفردها مشفر بكسر الفاء وهي شفة البعير .

(٣) علمين : جبلين .

الماء : « والله ما وردت هذا الماء قط الا مرة واحدة مع أبي وأنا غلام »(١) ، شرب الجند ، وكيف لا يهتدون الى الماء وعين العناية الالهية ترعاهم وتكلاهم ؟!... فهم جند الله الاخيار ، قلوبهم معه وارواحهم منورة بنوره .

تقدم خالد بجيشه فدخل « سوى(٢) » ثم الى تدمر ، وانحدر الى « اذرعات » وأغار على غسان في مرج راهط . واتصل بأبي عبيدة وشرحبيل ويزيد على قناة بصرى وتقدمهم واقتحموا جميعا بصرى ، ثم ساروا جميعا الى فلسطين مددا لعمرو بن العاص ، واكتمل عقد المسلمين جميعا عند اليرموك .

ومما يجدر ذكره أن خلافا وقع بين المؤرخين عند كتابة تاريخ هذه الفترة فقد روى :الازدي والبلاذري والواقدي ان اليرموك هي آخر المعارك في بلاد الشام ، أي حصار دمشق وحمص وموقعة اجنادين قد تم هذا كله قبل اليرموك ، ويخالف هذا ما ذكره الطبري

---

(١) ومما قيل عند وصول المسلمين الى الماء :

لله در رافع أنى اهتدى   فوز من قراقر الى سوى
خمسا اذا ما سارها الجيش بكى   ما سارها قبلك انسي يرى

(٢) ومما يذكر قبل دخول « سوى » ان أهالي سوى جلس يغني ويشرب والناس من حوله : ومما قاله هذا المغني المخمور :

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر   لعل منايانا قريب وما ندري
ألا عللاني بالزجاج وكروا   على كمييت اللون صافية تجري
الا عللاني من سلافة قهوة   تسلي هموم النفس من جيد الخمر
اظن خيول المسلمين وخالدا   ستطرقكم قبل الصباح من البشر
فهل لكم في السير قبل قتالهم   وقبل خروج المعصرات من الخدر

والمعصرات : الجواري التي في العشرين . ويقول اهل « سوى » ان مغنيهم هذا قتل فعلا عند دخول خالد للمدينة ، وسال دمه في جفنة الخمر التي كان يشرب بها.

في تاريخه ، والارجح هو الراي الاول ، حيث أن ابا عبيدة ويزيد نزلا عند قدومهما من الجزيرة شمال اليرموك ، فالفترة التي قضوها هناك قبل اليرموك ، كانوا فيها في فتح باتجاه الشمال حتى حاصروا دمشق قبل اليرموك ، ثم انسحبوا جميعا ــ الى اليرموك ــ للتجمع مع الاوية الاخرى . وان كان خالد وابو عبيدة سيحاصران دمشق بعد اليرموك ، خالد على الباب الشرقي وابو عبيدة على باب الجابية .

فرح المسلمون بخالد وزاد جدهم ويقينهم بالنصر، واشتدغضب الروم بمجيئه ، ولما علم هرقل بمجيء خالد (رضي الله عنه وارضاه) جمع اصحابه وقال : **ألم أقل لكم لا تقاتلوهم ، فانه لا قوام بكم على هؤلاء القوم ، ان دينهم دين جديد ، يجدد لهم ثبارهم(١) ، فلا يقوم لهم احد حتى يبلى ؟..** فغضب اصحابه وقالوا له: **((قاتل ولا تجبن الناس ، واقض الذي عليك))** ، ونلاحظ هنا ان هرقل في اليرموك يمثل دور رستم في القادسية ، معنوياته منهارة ، ولكن هرقل علم انه لاقبل له بهؤلاء الابطال فقال : **((أرى من الرأي الا تقاتلوا هؤلاء القوم ، وأن تصالحوهم ، فوالله لان تعطوهم نصف ما أخرجته الشام ، وتاخذوا نصفه وتقر لكم جبال الروم خير لكم من ان يغلبوكم على الشام ويشاركوكم في جبال الروم))** . كيف لايقول هرقل هذا وهو اعلم **بنفسيات جنده المحطمة ، فقد قال له كبار قواده عندما كان في فلسطين :** ((لقد أتتك العرب وجمعت لك جموعا عظيمة ، وهم يزعمون ان نبيهم الذي بعث اليهم اخبرهم انهم يظهرون على اهل هذه البلاد ، وقد جاءوك وهم لا يشكون ان هذا يكون ،

---

(١) ثبار : المواظبة والثبات .

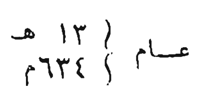
وجاءوك بأبنائهم ونسائهم تصديقا لمقالة نبيهم ، يقولون : لو دخلناها وافتتحناها نزلناها بأولادنا ونسائنا » فقال لهم هرقل وقتئذ : « ذلك أشد لشوكتهم ، اذا قاتل القوم على تصديق فما اشد على من كابدهم أن يزيلهم أو يصدهم » .

ومما زاد في حيرة هرقل وارتباكه وحيرة جنده وارتباكهم : أنه أشاع بعض الروم في بلاد الشام ـ وهم متيقنون ، كأنهم يصفون شيئا مشهادا ـ ان خالدا في يده سيف نزل من السماء ، أعطاه له رسول الله ، فلا يقاتل به قوما الا انتصر عليهم . أليست هذه الكلمات كافية ليجد الرعب مسكنا مناسبا له في قلوب الروم ؟ .

الجو مهيأ لبدء المعركة فالطرفان اتخذا استعداداتهما ، الروم في اربعين ومائتي ألف ، منهم ثمانون الف مقيد بالسلاسل كي لايفرون أثناء المعركة، والمسلمون: سبعةوعشرون الفا ممن كانمقيما، الى ان قدم عليهم خالد في تسعة آلاف فبلغوا : ستة وثلاثين الفا. ومما يذكر : ان الصديق في هذه الاثناء مرض وتوفي للنصف من جمادى الآخرة قبل الفتح بعشر ليال .







معركة حاسمة في تاريخ هذه الامة تحتاج الى قائد جسور جريء ، لايعرف في حربه هوادة ، او ترددا او احجاما، تحتاج الى قائد لا يهاب الموت ، ولا يحسب له حسابا ، بل لا يخطر بذهنه، وانما يفكر ويقرر ويضرب وينتصر ... وكلمة الصديق تكفي : « خالد لها »..

استعدادات :

● قدم خالد من العراق بسرعة خاطفة يمكن اعتبارها بحق في غاية الاعجاز والحنكة ، فوجد المسلمين يقاتل كل منهم متساندا مع الآخر ، لكل أمير جنده ، لا يجمعهم أحد ، بل عسكر أبي عبيدة يجاوره عسكر عمرو بن العاص ، وعسكر شرحبيل مجاور لعسكر يزيد بن أبي سفيان . ولما جاء خالد عسكر على حده ، وصلى بأهل العراق ، وجرت اشتباكات ليست فاصلة مع أن بعضها جعل الروم يتراجعون الى « الواقوصة » فلزموا خندقهم عامة شهر يحضهم الرهبان حتى خرجوا للقتال في جمادى الآخرة .

أحس خالد بخروجهم متساندين لقتالهم ، فسار خالد بين المسلمين وقال بعد ان حمد الله واثنى عليه : « ان هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ، فان هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية ، على تساند(1) وانتشار ، فان ذلك لا يحل ولا ينبغي . وان من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون انه الرأي من واليكم ومحبّته » . قالوا : « هات ، فما الرأي ؟ » قال رضي الله عنه : **« ان أبا بكر لم يبعثنا الا وهو يرى أنا سنتياسر ، ولو علم بالذي كان ويكون ، لجمعكم ،**

---

(1) تساند : أي على رايات شتى ولم يجتمعوا على راية واحدة أو تحت راية أمير واحد .

ان الذي انتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم ، وانفع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ، فقد آفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه ان وان لاحد من أمراء الجنود ، ولا يزيده عليه أن دانوا له ، ان تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . هاموا فان هؤلاء تهيؤوا ، وهذا يوم له ما بعده ، ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وان هزمونا لم نفلح بعدها . فهلموا فلنتعاور(١) الامارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غدا ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ، ودعوني اليكم اليوم)) .

فأمروه ، وهم يظنون ان الامر سيطول وسيتولون الامارة بالتداول ، علم خالد ان القتال كل بفرقته سيطول ، وفيه اضعاف الجهود ، وتبذير في القوى ، وهدر للتكاتف ، فأراد التوحيد تحت امرة امير واحد وكأنه الهم ان المعركة لن تطول اذا توحدت الفرق ، واذا تولى هو القيادة ، بحنكته ودهائه الحربي ، وسيرى الجميع ان بهذه الوحدة في القيادة ، وفي وحدة الصف هذه ، نتائج اولها النصر ، وفي يوم واحد على الاكثر . وكيف لا يكون النصر السريع . نابغة الحرب هو قائد المعركة ؟.

● ومما حطم معنويات الروم قبل المعركة ان قائدهم ارسل رجلا من قضاعة يقال له ابن هزراف ، فقال له : ادخل في هؤلاء القوم — يعني جيش المسلمين — فأقم فيهم يوما وليلة ، ثم ائتني

---

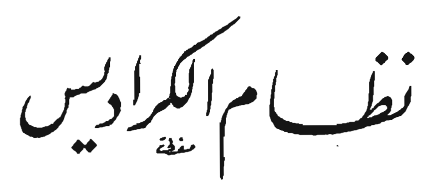
(١) نتعاور : نتداول . والمراد أن يستلم القيادة العامة كل منهم فترة معينة .

بخبرهم . فدخل ابن هزارف في جيش المسلمين فأقام يوما وليلة، ثم رجع الى قائد الروم فقال له القائد : ما وراءك ؟ قال : **بالليل رهبان ، وبالنهار فرسان ، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده ، ولو زنى رجم ، لاقامة الحق فيهم** ، فقال القائد : **لئن كنت صدقتني لبطن الارض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ، ولوددت أن حظي من الله ان يخلي بيني وبينهم ، فلا ينصرني عليهم ، ولا ينصرهم علي**(١) .

فكان أمثال هؤلاء العيون عونا للمسلمين على النصر ، فكلما رجع عين منهم الى جيش الروم ، ما تكلم كلمة الا ثبَّط همم جند الروم ، وجعل في انفسهم اليأس من النصر .



(١) هذا القائد هو « القبقلار » (بضم القاف والباء) وهو قائد جانب من جيش الروم ، وورد عنه في الطبري ، انه لما رأى من قتال المسلمين ما رأى ، قال للروم : لفوا رأسي بثوب ، قالوا له : لم ؟ قال : يوم بئيس ، لا أحب ان اراه ! ما رأيت في الدنيا يوما أشد من هذا ! فاحتز المسلمون رأسه ، وانه لملفف .



« نظام : مرن الحركة سريعها ، يرتبط الجندي فيه باميره ، ويرتبط الامير بالقائد العام ... » .

عبأ خالد الجيش تعبئة لم يعبئها العرب قبلا ، اخرجت ذهنيته الحربية نظاما رائعا جديدا ، لا ندري من أين اخذه ، ولا ندري في اي « كلية حربية » درسه ، الا ان يكون اختراعه ، فأحكم الخطة وسدد خطاها ، ورتب الامور لها ترتيب البصير الخبير في الحرب وفنونها .

ورتب خالد الجيش ــ ولاول مرة في تاريخ هذه الامة ــ ترتيبا جعله مرن الحركة سريعها ، مرتبطا جنديه بأميره ، واميره بالقائد العام . قسم الجيش الى اربعين كردوسا(1) وقال : « ان عدوكم قد كثر وطغى ، وليس من التعبية تعبية اكثر من راي العين من الكراديس » . والكراديس هذه ثلاثة اقسام : قلب ، وميمنة ، وميسرة ، حسب التوزيع التالي :

---

(1) وفي رواية ستة وثلاثين كردوسا ، والكردوس : القطعة العظمية من الخيل، ويقال كردس القائد خيله ، أي جعلها كتيبة كتيبة منه ، والمعنى هنا : قسم خالد الجيش الى كتائب كبيرة ، « وكردوس : بضم الكاف » .

١ ــ ابو عبيدة قائد لكراديس القلب ومعه ثمانية عشر كردوسا ، على هذه الكراديس الامراء التالية اسماؤهم :

٢ ــ القعقاع بن عمرو ــ على كردوس من كراديس اهل العراق .

٣ ــ مذعور بن عدي .

٤ ــ عياض بن غنم .

٥ ــ هاشم بن عتبة .

٦ ــ زياد بن حنظلة ..

٧ ــ دحية بن خليفة .

٨ ــ امرؤ القيس .

٩ ــ يزيد بن يحنس .

١٠ ــ أبو عبيدة بن الجراح .

١١ ــ عكرمة بن أبي جهل .

١٢ ــ سهيل .

١٣ ــ عبد الرحمن بن خالد ــ وهو يومئذ ابن ثماني عشرة سنة(١) .

١ ــ حبيب بن مسلمة .

١٥ ــ صفوان بن أمية .

١٦ ــ سعيد بن خالد .

١٧ ــ أبو الاعور بن سفيان .

١٨ ــ ابن ذي الخمار .

---

(١) يذكرنا هذا « بجيش أسامة » ، الم نقل ان الاسلام يقدر الشباب ، ويجعل لهم مكانة خاصة تليق بحيويتهم وشبابهم ، خاصة اذا نظم الايمان هذه الحيوية ؟!.. أليس لشباب هذه الامة قدوة بعبد الرحمن بن خالد ؟..

١٩ ـ وعلى كراديس الميمنة عمرو بن العاص ومعه أحد عشر كردوسا ، على هذه الكراديس الامراء التالية أسماؤهم :

٢٠ ـ عمارة بن مخشى بن خويلد .

٢١ ـ شرحبيل بن حسنة .

٢٢ ـ خالد بن سعيد .

٢٣ ـ عبد الله بن قيس .

٢٤ ـ عمرو بن عبسة .

٢٥ ـ السمط بن الاسود .

٢٦ ـ ذو الكلاع .

٢٧ ـ معاوية بن حديج .

٢٨ ـ جندب بن عمرو بن حممة .

٢٩ ـ عمرو بن فلان .

٣٠ ـ لقيط بن عبد القيس بن بجرة .

٣١ ـ وعلى كراديس الميسرة يزيد بن أبي سفيان ومعه تسعة كراديس ، على هذه الكراديس الامراء التالية اسماؤهم :

٣٢ ـ الزبير بن العوام ـ فارس رسول الله .

٣٣ ـ حوشب ذو ظليم .

٣٥ ـ عصمة بن عبد الله .

٣٦ ـ ضرار بن الازور .

٣٧ ـ مسروق بن فلان .

٣٨ ـ عتبة بن ربيعة .

٣٩ ـ جارية بن عبد الله شجعي .

٤٠ ـ قباث بن أشيم .

أما القاضي فكان ابو الدرداء(١) ، وكان القاص أبو سفيان بن حرب ، يحمس الناس على الروم ، وكان على الطلائع : قباث بن أشيم ، وكان على الاقباض(٢) عبد الله بن مسعود ، وكان القارىء « المقداد بن عمرو(٣) » وكانت السنة التي سنها رسول الله (ص) بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند لقاء العدو وهي سورة الانفال ، ولم يزل الناس بعد ذلك على ذلك ، لماذا انتقى النبي هذه السورة؟.



---

(١) وهو عويمر الخزرجي وضريحه في « باب صغير » وله مسجد في قلعة دمشق . راجع كتاب الزيارات » للقاضي محمود العدوي في المكتبة الظاهرية بدمشق ، رقم (و ـ ٩٦٨٣) .

(٢) الاقباض : جمع قبض ، وهو ما يجمع من الغنائم .

(٣) قال عمر بن الخطاب عن المقداد : انه مقام الف رجل .

سورة الجهاد

سورة الانفال (٨/٧٥ آية)
انها الروح المناسبة للموقف المناسب ...

اختار النبي (ص) في بدر هذه السورة لانها تنطق بالروح المناسبة في المكان المناسب ، انها سورة الحرب والحماس والدار الاخرة ولقاء الله . ويمكن ان نستخلص منها المعاني التالية :

١ ـ تذكر هذه السورة المجاهدين بالايمان وبلقاء الله فترخص الارواح عند لقاء العدو : **((انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون)) (٢) .**

٢ ـ تذكر بوعد الله لعباده المؤمنين ، فهم ليسوا وحدهم في المعركة ، الله وملائكته معهم : **((اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين)) (٩) .**

٣ ـ الاعتماد على الله لتحقيق النصر فيجب الرجوع اليه بعد تهيئة الاسباب واخذ الاستعدادات التامة للقاء العدو ، اذ في السورة نفسها **((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ..))** (٦٠) ، اما المعنى الاول فموضح في الآية : **((وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم)) .**

٤ ـ الاقتناع بان الله مضعف وموهن قلوب الكافرين ، وبالمقابل مثبت ومقوٍ قلوب المؤمنين : ((**اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا فيهم كل بنان**)) (١٢) .

٥ ـ توضح السورة عقوبة الفرار من الزحف ليحذرها المؤمن بل كي لايفكر بها ، فمن وجد في جيش الايمان لا يفكر الا في النصر او في الشهادة ، اما الادبار فمنسوخ من معجم الاسلام : ((**يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**)) . (١٥ و ١٦) .

٦ ـ أمل المؤمنين بالنصر الاكيد : ((**ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم ، وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين**)) (١٩) .

٧ ـ تذكير المؤمنين باكرام الله لرسوله عندما خرق العوائد لتخليصه من قريش عند الهجرة، والله هو الله ، وما زال هو القادر على ان ينصرهم رغم كثرة الاعداد وقلة عددهم : ((**واذ يمكرُ بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين**)) (٣٠) .

٨ ـ تذكير المؤمنين انهم لا يقاتلون الا كي تكون كلمة الله هي العليا ولنشر الاسلام اولا وآخرا : ((**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير**)) (٣٩).

٩ ـ في السورة دعوة الى التكاتف والتعاون والمحبة والاتحاد والصبر ولضمان النصر والفوز : « **واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين** » (٤٦) .

١٠ ـ الايمان والروح المعنوية الخاصة التي يجب ان يكون عليهما المؤمنون وعدم الاكتراث بالقلة والكثرة ، عدم النظر بقلة رجال الايمان ولكثرة عدد الكافرين « **يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون** » (٦٥) . وتشير لهذا المعنى ايضا الآيات ٤٣ ـ ٤٤ .

١١ ـ تنبه آيات السورة المؤمنين الى خطر المنافقين للحذر منهم : **اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم** » (٤٩) .

١٢ ـ تنص الآيات في السورة على احترام العهود والمواثيق التي يعقدها المؤمنون مع اعدائهم ، مع الجنوح الى السلم اذ ليست الغاية اراقة الدماء ، بل نشر الدعوة بأقل كمية دماء ممكنة ، حفاظا على ارواح الشعوب ولكي تبقى هذه الحروب انسانية محرّرة :

« **واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين** » (٥٨)

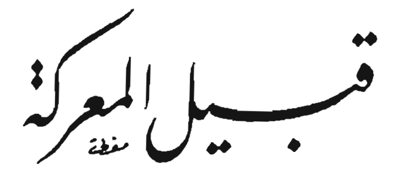
« **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم** » (٦١) .

١٣ ـ توضح السورة في آياتها كيفية توزيع الغنائم : **« واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ..» (٤١) .**

١٤ ـ تذكر الآيات بأن الاعداء سيهزمون لفسقهم وذنوبهم كما هزم فرعون : **« كذب آل فرعون والذين من قبلهم ، كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين »(٥٤).**

١٥ ـ تذكر الآيات المجاهد بالثواب الكبير الذي ينتظره : **« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » (٧٤) .**

هذا جزء يسير مما تدل عليه السورة ، ففيها من المعاني ما لا يسمح مجال الكتاب لذكره ، اكتفيت بذكر ما سبق ـ ١٥ بندا ـ وهي كافية لتعطينا فكرة ولو بسيطة عن قيمة قراءة هذه السورة وعن سبب اختيار النبي (ص) لها وعن سبب تسميتها ، قرئت هذه السورة في اليرموك من قبل المقداد بن عمرو وما أدراك من « المقداد » انه بألف رجل في ايمانه وقوته ، فستشع هذه المعاني في الآيات نورا في قلوب المجاهدين بعد ان تهضمها ارواحهم فترشح في الاعضاء قوة وعزيمة ، انها : **سورة الجهاد** ... فصلى الله على من اختارها وسنها لمثل هذه المواقف .



انما تكثر الجنود بالنصر ..
وتقـل بالخذلان ...

شهد اليرموك الف من اصحاب رسول الله (ص) فيهم نحـو
ن مائة من اهل بدر ، وكان ابو سفيان يسير فيقف على الكراديس
يقول : « الله ... الله ... انكم ذادة العرب وانصار الاسلام ،
انهم ذادة الروم وانصار الشرك ! اللهم ان هذا يوم من أيامك ،
لهم انزل نصرك على عبادك » .

بينما خالد يرتب الجند ويفتش بينهم فقال رجل له : « ما اكثر
روم واقل المسلمين ؟ » .

فقال خالد : **« ما أقل الروم واكثر المسلمين ، انما تكثر الجنود**
لنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال » . ثم نطق بكلمات خالدة
لود الزمن ، كلمات ما قالها انسان قبله وما قالها انسان بعده ،
لها وهو صادق فيما يقول ، ويعي ما يتحدث ، انها عزيمة الصدق
صدق العزيمة ، انها قوة الايمان ، وايمـان القوة . قالها خالد
كفينا ان نقول : انه خالد قالها فندع للخيال فسحة ليفكر بهذه
شخصية التي عجزت النساء ان تلد مثلها ، ماذا قال ؟ اقسم بالله
ال : **« والله لوددت ان الاشقر براء من توجيه ، وانهم اضعفوا**

العـدد » . هذه الكلمات تعكس نفسية المؤمن الذي هذب نفسيته محمد بن عبد الله (ص) النبي الامي الذي أدبه الله فأحسن تأديبه .

ماذا تعني هذه الكلمات ؟

الاشقر من الخيل : الخيل التي فيها حمرة صافية ، يحمر معها العرف والذنب ، أما وجي الفرس وتوجى : أي أصيب بالوجا ، وهو أن يشتكي الفرس باطن حافره ، أي أن فرس خالد الاشقر مصاب في حافره وذلك عند مجيئه من العراق .

وهذه الكلمات تعني بوضوح بعد اجراء معادلة بسيطة ما يلي : جيش الروم ٢٤٠ الف ، فلو أضعفوا العدد لاصبحوا ٤٨٠ الف ، والاشقر سليم معافى ، اذن في تربية هذه الامة أصبح خـالد لا يعادل ربع مليون من الروم ، لا بل فرسه « الاشقر » يعـادل = ٢٤٠ الف رجل من الروم ، فاذا كان فرس خالد بهذه القيمة ، فما قيمة خالد ؟ هل نقول الملايين ؟ !.. الله اكبر يا أمة الاسلام كيف نهضت ؟ كيف تقدمت ؟ كيف فتحت الدنيا ..؟.. لا ، لا غرابة فشعب بهذه الروح وبهذه المعنويات بهذه الافكار لو بقي لفتح الدنيا كلها ، بل لانطلق عبر الفضاء ولعله يرى في العوالم خلقا فيبلغهم دعوة محمد . ألا يحق لنا اذا سمعنا بخالد وامثاله من ابطالنـا أن نطأطيء رؤوسنا اجلالا ، وترف القلوب فرحا وتحنو اليهم الروح عشقا ومحبة ، لقد ألهبت كلمات خالد حماس المجاهدين فتشوقوا الى الشهادة فسينطلقون بعد قليل كالسهام الى صدور الاعداء .

بهذه الهمة ، وهذه الثقة ، أمر القائد العام الكراديس كلها أن

تنشب القتال ، امر القعقاع وعكرمة وكانا على جناحي القلب فأنشبا القتال ، تقدم القعقاع الذي راينا بطولاته في القادسية في الجزء الاول من هذه السلسلة ـ طربا يرتجز :

يا ليتني القـاك في الطراد

قبل اعترام الجحفل الوراد

وانت في حلبتـك الـوارد

نشب القتال والتحم الناس ، وتطارد الفرسان ، وبينما هـم على ذلك اذ قدم البريد من المدينة المنورة ، فأخذته الخيول ، وسألوه الخبر ، فلم يخبرهم الا بخير ، واخبرهم عن امداد ، ولكن البريد جاء بوفاة ابي بكر رضي الله عنه ـ في يوم الاثنين ٢٢ جماد الآخرة ١٣ هـ وتأمير أبي عبيدة ، فأبلغ الامر خالدا ، وأخبره بوفاة ابي بكر ، واخبره بأن الجند لم تخبر بعد ، فقال لحامل البريد : « احسنت فقف » واخذ الكتاب وجعله في كنانته ـ حيث بضع شعرات مباركات من شعرات رسول لله يتبارك خالد بها قبل بداية كل حرب ـ وخاف أن هو اظهر ذلك ان ينتشر الأمر في الجند ، فوقف محمية ابن زنيم مع خالد ، وهو الذي جاء حاملا البريد ، وهكذا جاء عزل خالد وتأمير أبي عبيدة وبقي الامر سرا كي لا تضعف معنويات الجند ، وليتم خالد خطته التي رتبها ، وما هي الا ساعات يحقق

---

(١) وقال عكرمة :

قد علمت بهكنة الجـواري انى على مكرمة احـامي

والبهنكة : الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة ، انه غزل عذري ، وفخر واعتزاز بالجهاد .

الله النصر فبعدها سيقاتل خالد جنديا كما قاتل قائدا مادام انه يقاتل لله وحده ، وفي سبيله .

خرج في هذه الاثناء من بين صفوف الروم « جرجة(١) » حتى كان بين الصفين ، ونادى : ليخرج الي خالد . فخرج اليه خالد دون تردد ، وأقام أبا عبيدة مكانه ، فوافقه بين الصفين ، حتى اختلفت اعناق دابتيهما ، وقد أمن أحدهما صاحبه .

فقال جرجة : « ياخالد اصدقني ولا تكذبني فان الحر لا يكذب ، ولا تخادعني فان الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه، فلا تَسُلّه على قوم الا هزمتهم ؟ » .

خالد : « لا » .

جرجة : « فيم سميت سيف الله ؟ » .

خالد : « ان الله عز وجل بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم ، فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعا . ثم ان بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا باعده وكذبه ، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ، **ثم ان الله أخذ بقلوبنا ونواصينا ، فهدانا به ، فتابعناه ، فقال : انت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ! ودعا لي بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك ، فأنا من أشد المسلمين على المشركين .**

---

(١) جرجة : بفتحات ، كذا ضبطه صاحب القاموس ، وقال : « اسم مقدم عسكر الروم يوم اليرموك » .

ومما يذكر انه كان يجيد اللغة العربية . أما اسمه في المراجع العربية فهو : جورج بن تيودور .

جرجة : صدقتني ، ثم أعاد عليه جرجة : « ياخالد ، اخبرني الام تدعوني ؟ » .

خـالد : الى شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والاقرار بما جاء بـه من عند الله » .

جرجة : « فمن لم يجبكم ؟ » .

خـالد : « فالجزية(١) ونمنعهم » .

جرجة : « فان لم يعطها ؟ » .

خـالد : « نؤذنه بحرب ، ثم نقاتله » .

جرجة : « فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم الى هـذا الامر اليوم ؟ » .

خـالد : « منزلتنا واحـدة فيما افترض الله علينـا ، شريفنا ووضيعنا ، وأولنا وآخرنا » .

جرجة : « هل لمن دخل فيكم اليوم ياخالد مثل مالكم من الاجر والذخـر ؟ » .

خـالد : « نعم ، وأفضل » .

جرجة : « وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ » .

---

(١) كلمة « الجزية » تفسرها كلمة « نمنعهم » ، ان الجزية تدفع مقابل حماية المسلمين للذميين ، وان لم يحققوا الحماية فيرجعوا الجزية لاصحابها ، كما حدث مع ابي عبيدة وأهل حمص . « سنفصل هذه الحادثة في الجزء الاخير من هـذه السلسلة ان شاء الله » .

خـالد : « إنا دخلنا في هذا الامر ، وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حي بـين أظهرنا ، تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ، ويرينا الآيات ــ المعجزات ــ وحق لمن رأى مثل ما رأينا ، وسمع ما سمعنا ، أن يسلم ويبايع ، وانكم انتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل في هـذا الامر منكم بحقيقة ونية كان افضل منا » .

جرجة : « بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني ! » .

خـالد : بالله ، لقد صدقتك وما بي اليك ولا الى أحد منـكم حاجة ، وان الله لولي ما سألت عنه » .

جرجة : « بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألّفني ! » .
« علمني الاسلام » . فمال به خالد الى فسطاطه(١) ، فشن(٢) عليه قربة من ماء ، ثم صلى ركعتين بعد ان علمه خالد الصلاة ، وحملت الروم مع انقلابة الى خالد ، وهم يرون أنها منه حملة ، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم الا المحامية ، عليهم عكرمة والحارث بن هشام ، وركب خالد ومعه جرجة والروم خلال المسلمين ، فنادى الناس ، فثابوا ، وتراجعت الروم الى مواقفهم .

ولا يحق لنا أن نصف المعركة في احتدامها ، ونخوض غمارها فكريا مع صحابة رسول الله قبل أن نلقي أضواء على بعض فقرات حوار خالد وجرجة ونستخلص منها أشياء وأشياء منها :

---

(١) الفسطاط : البيت من الشعر ، « بفتح الشين والعين » .

(٢) شن : شن عليهم الغارة ، أي فرقها عليهم من كل وجه ، والمراد هنـا انه سكب عليه الماء من كل جهة على جسمه لكي يتطهر جرجة قبل صلاته .

١ ـ **تواضع سيف الله خالد عندما قال :** فأنا من اشد المسلمين على المشركين » ولم يقل « أنا اشد المسلمين على المشركين » فكلمة (من) جعلت الجملة تفهم جرجة ان في الجيش كثر من أمثال خالد .

٢ ـ الحوار الذي دار ، **اسلوب جميل للدعوة الى الله ،** دعوة الى معروف بمعروف ، ببساطة ووضوح ، فلنتمعن بكلمات خالد التالية : « الى شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، والاقرار بما جاء به من عند الله » و « منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا ، واولنا وآخرنا » وجوابه رضي الله عنه لجرجة عندما سأله عن أجره اذا دخل في الاسلام متأخرا الآن فقال له : مثل أجرنا و « افضل » . ثم قال خالد : « فمن دخل في هذا الامر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا » . فكل هذه الكلمات توضح تواضع الداعي وترغيب المدعو الى الله والاسلام ، واشعاره حقا ان الاسلام لمن صدق لا لمن سبق ، فان آمن الآن فله ما لنا وما علينا وثوابه وذخره كثوابنا وذخرنا . **فهذا هو أسلوب الدعوة الناجح ... ترغيب ووضوح ولين ومعروف وبساطة ...**

٣ ـ توضح الفقرات **احترام خالد التام لرسول الله** وان ايمانه بعد غزوة الاحزاب « أو الخندق » كان عن ايمان برسول الله واقتناعه أنه الرسول الصدوق المصدق وهذه هي الادلة : « يرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا ، أن يسلم ويبايع » ، « ان الله أخذ بقلوبنا ونواصينا ، فهدانا به ، فتابعناه » .

ـ يدل الحوار الى شيء غفل او تغافل عنه كثيرون ، الا وهو :

لو ترك الملوك الدعوة الاسلامية وخلوا بينها وبين شعوبهم ، لجرت مثل هذه المناقشات ، فترى الشعوب بساطة ووضوح العقيدة الجديدة ، ومساواتها بين أميرها ووضيعها ومساواة حامل الدين الذي أسلم قبل سنوات وبين من سيسلم حديثا ، كلهم أخوة وحقهم واحد ، وثوابهم واحد ... ولدخلت في دين الله هذه الشعوب ، وتحررت من انصاف الآلهة ، وسيطرتهم دون قتال ، فالقتال ليس غاية في ذاته ، بل هو وسيلة لا غاية ، الشعوب ليست هي التي يحاربها جيش الفتح ، بل السلطة المسيطرة الظالمة ، والهدف الاول والاخير ايصال العقيدة الى الشعوب لترى عدالتها ومساواتها ووضوحها وحب النفس لها واقتناع العقل بها وأنى للذوق السليم اذا لعق عسلا الا يتعلق به ؟ ولو قيل له سابقا انه مر نتن ؟ .

.. « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » رحمة للعالم أجمع صلى الله عليه وسلم .



بطولات خلال المعركة

منقطعة

● كم منادٍ صاح يقول : ((من يبايع على الموت؟)) فيسمعها المجاهدون اثناء اشتداد القتال ، فيجيب الكثيرون: نحن نبايع ، فتتقدم كتائبهم ـ كتائب الفدائيين ـ فتحقق البطولات والمعجزات

نظر المسلمون الى رايات الروم تقترب منهم وتدنو ، فقال ابو عبيدة ـ أمين هذه الامة ـ لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ثم قال : أين أبو سليمان خالد بن الوليد ، فأجابه خالد بالتلبية ، فقال أبو عبيدة : انت لها يا أبا سليمان فابرز في أبطال المسلمين وصد عن الحريم ، وخذ صفوة الرجال واستعد للحرب بآلاتها ، فقال : حبا وكرامة ونادى خالد : اين الزبير بن العوام ؟ اين عبد الرحمن بن أبي بكر ؟ أين الفضل بن العباس ؟ أين يزيد بن أبي سفيان ؟ أين ميسرة بن مسروق العبسي ؟ أين مسرة بن قيس بن عبد الله الجهني ؟ اين صخر بن حرب الاموي ؟ اين عمارة الدوسي؟ اين عبد الله بن سلام ؟ أين غانم الغنوي ؟ أين المقداد بن الاسود الكنادي ؟ اين أبو ذر الغفاري ؟ أين عمرو بن معد يكرب الزبيدي ؟ اين عمار بن ياسر العبسي ؟ أين ضرار بن الازور ؟ أين عامر بن الطفيل ؟ أين أبان بن عثمان بن عفان ؟ ... وجعل خالد

يدعوهم رجلا بعد رجل من أصحاب رسول الله (ص) وهؤلاء كل واحد منهم يلقى جيشا ، فكيف اذا اجتمعوا ؟

جمعهم خالد ليضربوا عدوهم « الضربة القاضية » وهذا سيكون وأثناء انتقاء خالد لهؤلاء ، سار أبو عبيدة في الجيش فأخرج النساء الى تل قريب وأمرهن بأن يأخذن بأيديهن أعمدة الخيام والحجارة وان يحرضن المؤمنين على القتال ، « فان كان الامر للمسلمين فكن على ما انتن عليه ، وان رأيتن أحدا منهزما فاضربن وجهه بأعمدتكن، واحصبنه بحجارتكن ، وارفعن اليه اولادكن وقلن له : قاتل عن دينك وأهلك وولدك ، فقالت النساء : أيها الامير ابشر بما يسرك ، ثم رجع الى الجند وقال محمسا : « **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والزموا الصبر فان الصبر منجاة من الكرب ومرضاة للرب ومقمعة للعدو فلا تزايلوا صفوفكم ولا تنقضوا نيتكم ولا تخطو خطوة الا وانتم تذكرون الله .**

ثم طاف معاذ بن جبل في الناس محرضا يقول : « يا أهل الدين ويا أنصار الهدى والحق ، اعلموا رحمكم الله تعالى ان رحمة الله لا تنال الا بالعمل والنية ، ولا تدرك بالمعصية والتمني بغير عمل مرضي ، ولا تدخلوا الجنة الا بالاعمال الصالحة مع رحمة الله ، ولا يؤتى الرحمة والمغفرة الواسعة الا الصابرون والصادقون ، ألم تسمعوا قوله جل من قائل : « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ،**

---

(١) تنفيذا لامر الله عز وجل في الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » . (٨/٤٥) .

وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهـم وليبدلنهم من بعـد خوفهم أمنا ..» ٢٤/٥٥ . فاستحيوا من الله ان يراكم في فرار مـن عدوكم وانتم في قبضته ليس لكم ملجأ من دونه . كذلك خرج ابو سفيان وسهيل بن عمرو وحمسوا الناس بمثل هذه الكلمات .

بطولة غـلام

قال ورقة بن مهلهل التنوخي ، وكان صاحب راية ابي عبيدة في اليرموك : كان من أوائل من افتتحوا الحرب غلام من الازد حدثا كيسا قال لابي عبيدة : « ايها الامير اني اردت ان اشفي قلبي وأجاهد عدوي وعدو الاسلام ، وابذل نفسي في سبيل الله تعالى لعلي أرزق الشهادة ، فهل تأذن لي في ذلك وان كان لك حاجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرني بها » فبكى ابو عبيدة وقال: **« اقرىء رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام واخبره انـا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا »** . ثم اندفع الغلام ؟ هل لك ان تتصور قوة اندفاع هذا الغلام الازدي الى الجهاد ؟ وهل لك أن تتصور امة هكذا اطفالها ، هل تغلب ؟؟!...

خرج ـ لهذا الغلام المتقدم بين الصفين ـ ، علج من الروم ، جاء اليه على فرس اشهب ، فلما رآه الغلام قصد نحوه وهو يقول :

لا بد من طعن وضرب صائب
بكل لدن(١) وحسام قاضب

(١) لدن : « بفتح اللام وتسكين الدال » .وهي صفة للرمح اللين ، الذي لا يكسر اثناء الطعان .

عسى أن الفــوز بالمــواهــب
في جنة الفردوس والمراتب

فحمل كل منهما على صاحبه ، وابتدأ الغلام الازدي الرومي بطعنة فجندله صريعا واخذ جوادته وعدته وسلم ذلك لرجل من قومه ، وعاد الى المبارزة فخرج اليه آخر فقتله وثالث ورابع فقتلهم، فخرج اليه خامس فقتل الغلام الازدي فغضبت الازد ودنت من صفوف المشركين يشدهم الحماس بعد بطولات غلامهم ، هنيئا له الشهادة فقد لقي من أحب وأراد ، لقي رسول الله ، ولا ندري كم كان من هذه البطولات لغلمان هذه الامة قد سطرها أطفالها ولكن التاريخ ظلمهم ولم تكتب بطولاتهم ؟ وعلى مثل هذا يربى النشء والا فلا ...

شبل آخر

خرج بين الصفين علج من الروم وعليه درع سابغ فسأل القتال، فخرج اليه غلام ، فقتل الغلام على يد العلج ، ثم رأى معاذ بن جبل فأعجبه منظره فطلبه للنزال ، فقال أبو عبيدة : يا معاذ سألتك بحق رسول الله (ص) الا ماثبت مكانك ولزمت رايتك ، فلزومك الراية أحب الي من برازك الى هذا العلج ، فوقف معاذ بالراية ونادى : **« يا معشر المسلمين من أراد فرسا يقاتل عليه في سبيل الله فهــذا فرسي وسلاحي »** فجاء ولده عبد الرحمن فقال : « انا يا أبت » **وكان غلاما لم يحتلم** ، فلبس السلاح وركب الجواد ، وقال : « يا أبت أنا خارج الى هذا العلج ، فان صبرت فالمنة لله علي ، وان قتلت

فالسلام عليك ، يا ابت ، ان كان لك الى رسول الله حاجة فأوصني بها ، قال الاب لابنه الزاحف الى الموت : « يا بني اقرئه مني السلام ، وقل جزاك الله عن امتك خيرا » ثم قال : « يا بني اخرج وفقك الله لما يحب ويرضى » ، فخرج عبد الرحمن بن معاذ بن جبل الى العلج كأنه شعلة نار ، وحمل على العلج وضربه بالسيف ، فمال عنه العلج ومال الى عبد الرحمن وضربه على راسه فقطع العمامة وشجه شجة عميقة أسالت دمه ، فلما راى العلج دم عبد الرحمن ظن انه قتله فتأخر الى ورائه لينظر كيف يسقط عن جواده ، فلما نظر عبد الرحمن الى العلج وقد تأخر عنه اثنى راجعا الى المسلمين فقال له والده معاذ : « ما بك يابني ؟ » قال : « قتلني العلج » قال معاذ : « ما الذي تريد من الدنيا يا بني ! ؟ » فشد عبد الرحمن جرجه ورجع لكنه استشهد قبل قتل العلج ، فقال ابو عبيدة : « فمن له منكم ؟ » فخرج اليه عامر بن الطفيل الدوسي وكان من اصحاب الرايات وممن قاتل يوم اليمامة قتالا شديدا رائعا، خرج عامر الى العلج : وما هي الا لحظات حتى ضرب العلج بسيفه على هامته حتى وصل السيف الى امعائه ، فتنكس العلج صريعا .

خرج لعامر بن الطفيل بعد ان قتل العلج جبلة بن الايهم قائلا : أنا من غسان وأنا سيدها ، انا جبلة بن الايهم الغساني ، قتلت العلج وهو نظير « ماهان وجرجير » في الشجاعة فعلمت انك كفؤ ، فخرجت اليك لاقتلك واحظى عند هرقل وماهان بقتلك ، ـ يريد رضاء اسياده ـ فقال عامر : ان قولك انك ستحظى بقتلي عند

مخلوق مثلك ، فاني أريد أن احظى بجهادي عند رب العالمين بقتلك(١)

وحمل عامر على جبلة بن الايهم والتقيا بضربتين ، فخرجت ضربة عامر بن الطفيل غير ممكنة ، وخرجت ضربة جبلة ممكنة ، فقطعت من قرنه الى كتفه فسقط عامر قتيلا ، فوقف جبلة معجبا بنفسه وبما صنع ، وطلب المبارزة ثانية ...

شبل ثالث

طلب جبلة المبارزة ثانية ، فخرج اليه « جنـدب بن عامر ابن الطفيل ، وكانت معه راية أبيه فاقبل الى ابي عبيدة وقال : « ايها الامير » ، ان أبي قد قتل ، وأريد أن آخذ بثأره أو اقتل ، فادفع رايتك لمن شئت ، وخرج الغلام وهو يقول :

سأبـذل مهجتي أبـدا لاني ... أريـد العفو مـن رب كريم

واضرب في العدا جهدي بسيفي ... واقتـل كـل جبـار لئيم

فان الخلد في الجنات حـق ... تبـاح لـكل مقـدام سليم

ودنا من جبلة وقال له : « اثبت يا قاتل أبي » ، فقال جبلة : « ومن أنت من المقتول ؟ » . قال : ولده ، قال جبلة : « وما الذي حملكم على قتل نفوسكم ، وقتل النفوس محرم ؟ » قال جندب : « أن قتل النفس في سبيل الله محمود عند الله ، وننال به الدرجة العالية » ، قال جبلة : « أني لا أريد قتلك » فقال جندب :

---

(١) هذا هو الفرق بين الكافر والمؤمن ، الكافر يريد ارضاء اسياده الرومان الذي هو عبد لهم ، والمؤمن لا يريد الا رضاء الله عز وجل ، وشتان بين الاثنين ، الذل للانسان ذل ، والذل لله رفعة وقوة ...

« وكيف ارجع وانا المفجوع بأبي ؟!.. والله لا رجعت الا أن آخذ بثأر ابي او الحق به » . ثم حمل على جبلة وجعلا يقتتلان وقد شخصت نحوها الابصار ، نظر جبلة الى الغلام وما ابدى من شجاعة فعلم انه شديد البأس ، صعب المراس ، فأخذ منه حذره ، وغسان ترمق صاحبها فرات الغلام وقد ظهر على صاحبهم وقارنه في الحرب ، فصاح بعضهم على بعض وقالوا : ان هذا الغلام الذي برز الى سيدكم غلام نجيب ، وان تركتموه ظهر عليه ، فانجدوه ولا تدعوه ، فتأهبت غسان للحملة لينقذوه ، ونظر المسلمون الى جندب وما ظهر منه ومن شجاعته وشدته ففرحوا بذلك ونظر الامير ابو عبيدة الى ذلك وما فعل فبكى وقال : « اللهم تقبل له فعله » ، قال جابر بن عبد الله : « شهدت اليرموك فما رايت غلاما كان انجب من جندب بن عامر بن الطفيل حين قاتله جبلة » ، وكانت النتيجة أن ضرب جندب جبلة ضربة أوهنه بها فكر جبلة على جندب فقتله. فصاحت قبيلة جندب واسمها « دوس » : الجنة الجنة ، فحملت وحملت معها الازد فسطروا بطولات ما بعدها بطولات .

نشب القتال بجد ، وفي جميع الجوانب ، وسيطرت روح الصديق في سماء المعركة تلوح برايات النصر والفوز المبين ، واستجابت لها جنبات الوادي تردد في الفضاء المزدحم هتافات المسلمين وخطب وتحميس القواد . دقت ساعة الخطر ، واقبل الاعداء في قضهم وقضيضهم وخيلائهم وفخرهم ، تحاد الله وتهزأ من انصاره ، وخاف صحابة رسول الله على سلامة الجيش امام سيل العدو الجارف ، فأسرع بعضهم الى الزبير بن العوام في مقدمة

الفرسان فقالوا : ألا تشد فنشد معك ؟ ، واستجاب الزبير لنداء العزة ، فوثب ووثب من حوله على الروم ، فأزاحوهم عن الوادي وأرغموهم على تسلق الجبال وسلوك سبلها بحثا عن النجاة ولا نجاة ... وقال المسلمون : لله در الزبير بن العوام وهاشم بن المر ، فقد أرجعوا الروم بعد زحفهم .

وممن أظهر شجاعة لا نظير لها في اليرموك **« ضرار بن الازور »** الذي قتل أميرا روميا اسمه « مريوس » ويلقب (بملك اللان) ، فخرج فارس رومي يطلب المبارزة فخرج اليه الزبير فقتله وخرج اليه ثان وثالث فقتلهم ، فقال خالد بن الوليد لابي عبيدة : ان الزبير قد تجرد للروم وبذل نفسه لله ولرسوله وأخاف عليه من التعب ، فصاح عليه أبو عبيدة وأقسم عليه فرجع الزبير ، وفي هذا اليوم من كثرة السهام كثرت الجراح ، وأعوّر من المسلمين سبعمائة عين ، فسمي ذلك اليوم **« يوم التعوير »** وكان ممن أصيب بعينه : المغيرة بن شعبة ، وسعيد بن زيد بن عمرو التميمي ، وأبو سفيان صخر ابن حرب ... وكان ابو عبيدة يمشي في الناس هو وخالد بن الوليد يتفقدان الجرحى ويقولان : أيها الناس ان عدوكم يألم كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون .

أبو عبيدة حارس ليلي

جاء مساء اليوم الاول من القتال ، ولم يقل أبو عبيدة لاحد من المسلمين من يكون الليلة حرس المسلمين لما عندهم من التعب ، بل

انه قد تولى الحرس بنفسه ومعه جماعة صغيرة من المسلمين ، فبينما هو يدور اذ رأى فارسين قد لقياه وهم يدوران بدورانه ، فكلما قال لا اله الا الله ، قالا : محمد رسول الله ، فقرب ابو عبيدة منهما فاذا هما الزبير بن العوام وزوجته اسماء بنت ابي بكر الصديق ، فسلم عليهما وقال : يا ابن عمة رسول الله (ص) ما الذي أخرجكما ؟ قال الزبير : نحرس المسلمين ، وذلك ان اسماء قالت : ان المسلمين مشتغلون بانفسهم في هذه الليلة عن الحرس بما لحقهم من التعب في الجهاد طول يومهم فهل لك أن تساعدني على حرس المسلمين فأجبتها الى ذلك ، فشكرهما ابو عبيدة وعزم عليهما أن يرجعا ، فلم يرجعا ولم يزالا حتى طلع الصباح .

هذان الزوجان « الزبير واسماء » كان معهما ابنهما الغلام الصغير عبد الله ، وعمره يومها اثنتا عشرة سنة فقط ، فأرى هذا الغلام أرض الميدان معجزة الايمان في قلب ابن الزبير ، لقد ابى الغلام وقدواتته الفرصة الثمينة الا المشاركة في الجهاد، فركب فرسه مع ابيه في اليرموك ، وتقدم الى الصف الاول وفي اليوم الاول من المعركة ، ليغرق جواده في بحر القتال الى ذقنه ، وأخذ هذا الشبل الصغير ينافس أباه « الاسد الهصور » في ضرب رقاب اعداء الله وتشتيت اكداس العدو المكتظة في ساحة المعركة . . . حتى خرجا من الناحية الاخرى من كتلة الروم المتراصة ، ومن ثم ، عادا من نفس الطريق وبنفس الاسلوب المعجز في تاريخ الحروب . . !!

لقد كان هذا الشبل مع ابيه بمثابة جيش خطير ، اذهل الاعداء،

وفت عضدهم ، وايقنوا ان العاقبة وخيمة وخلد تاريخ الشعوب صورة بطولة خارقة لعبد الله بن الزبير في ميدان الحرب ، وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره الا قليلا .

النساء في اليرموك

اخذنا فكرة لا بأس بها عن بطولات الاطفال والغلمان في اليرموك، ولكن مادور المرأة المسلمة في هذه المعركة . لقد شاركت بها حقا ، دخلت المعركة بطهرها وعفافها واخلاقها الفاضلة جنبا الى جنب مع الجندي المسلم في طهره وعفافه وخلقه الفاضل ، أجل لقد دخلت المرأة المسلمة المعركة ولكن في جو ملائكي طاهر . وصور كفاح المرأة العربية في اليرموك كثيرة حتى قال « عبد الله بن قرط » ساعدتنا النساء اللاتي شهدن مع رسول الله (ص) المشاهد يداوين الجرحى ويسقين الماء ويبرزن الى القتال ، ولم أر من نساء قريش قاتلت بين يدي رسول الله (ص) ولا في « اليمامة » مع خالد مثل ما قاتلت نساء قريش يوم اليرموك حين دهمهن القتال وخالط الروم المسلمين فضربن بالسيوف ضربا وجيعا » .

ومن النساء اللواتي قاتلن في اليرموك : **خولة بنت الازور ، وأم حكيم بنت الحرث، وسلمى بنت لؤي . وأسماء بنت ابي بكر** التي قاتلت الى جانب زوجها فقرنت عنانها بعنان زوجها الزبير ابن العوام .

ومما حدث في اليرموك : أن حملت خولة بنت الازور على علج رومي كان قد حمل على النساء ، فاستقبلته خولة بالسيف ، فضربها

العلج بسيفه على رأسها فأسال دمها وسقطت الى الارض ، فصاحب عفيرة بنت عفان حين نظرتها صريعة ونادت : فجع والله ضرار في اخته ، فأخذت رأسها على ركبتها والدم قد صبغ شعرها وقالت لها : كيف تجدك يا ابنة الازور ، فقالت خولة : انا بخير ان شاء الله تعالى ، ولكني هالكة لا محالة ، فهل لك علم بأخي ضرار ؟ فقالت عفيرة : يا ابنة الازور ما رأيته ، فقالت خولة : اللهم اجعلني فداء لاخي ولا تفجع به الاسلام ، قالت عفيرة : فجهدت ان تقوم معي ، فلم تقم فحملناها الى أن أتينا بها موضعها فلما كان الليل رايتها وهي تدور تسقي الرجال وكأن ليس بها الم قط ، ونظر اليها اخوها والضربة في راسها فقال لها : ما بك ؟ فقالت : ضربني علج قتلته عفيرة .

وكانت خولة تنشد مع هند بنت عتبة زوجة ابي سفيان والمزاهر معهن ومع النساء جميعا أبياتا هي :

يا هاربا عن نسوة ثقات	لها جمال ولها ثبات
تسلموهن الى الهنات	تملك نواصينا مع البنات
أعلاج سوء فسق عتاة	ينلن منا اعظم الشتات

قالت سعيدة بنت عاصم الخولاني كنت في جملة نساء يومئذ على التل فانكشفت ميمنة المسلمين فصاحت بنا « عفيرة بنت عفان » وكانت من المترجلات البازلات ونادت : « يا نساء العرب دونكن والرجال ، واحملن اولادكن على أيديكن واستقبلنهم بالتحريض » ، فاقبلت النسوة يرجمن وجوه الخيل بالحجارة ، وجعلت ابنة العاص بن منبه تنادي : « قبح الله وجه رجل يفر عن

حليلته » ، وجعل النساء يقلن لازواجهن : لستم لنا ببعولة ان لم تمنعوا عنا هؤلاء الاعلاج ، قال عباس بن سهل الساعدي : « كانت خولة بنت الازور ، وكعوب بنت مالك بن العاص ، وسلمى بنت هاشم ، ونعم بنت فياض ، وهند بنت عتبة ، ولبنى بنت جرير الحميرية » متحزمات وهن امام النساء ، يرددن الخيل ، ويحرضن على القتال ، خرج المجاهدون رجعة عظيمة عندما سمعوا التحريض، وخرجت هند بنت عتبة وبيدها مزهر ومن خلفها نساء من المهاجرين وهي تقول الشعر الذي قالته يوم أحد :

نحـن بنــات طــارق   نمشي عــلى النمــارق
مشي القطـا المـوافـق   قيــدي مـع المرافـق
ومــن أبـى نفــارق   ان تغلبــوا نمــالـق
أو تـدبـروا نفــارق   فـراق غــير واثـق
هــل مـن كريم عاشـق   يحمي عـن العـواتق .

ثم صاحت هند : الى أين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع عليكم ، ونظرت الى زوجها أبي سفيان فضربت وجه حصانه بتمود كان بيدها ، وقالت له : الى أين يا ابن صخر ! ارجـع الى القتال وابذل مهجتك حتى تمحص ما سلف من تحريضك على رسول الله (ص) قال الزبير بن العوام : فلما سمعت كلام هند لابي سفيان ذكرت يوم أحد ونحن بين يدي رسول الله (ص) ، ثم قال : فعطف ابو سفيان عندما سمع كلام هند وعطف المسلمون معه ، ونظرت الى النساء وقد حملن معهم ، وقد رأيتهـن يسابقن الرجـال ، وبأيديهن العمد بين أرجل الخيل ، ولقد رأيت منهن أمراة وقـد

اقبلت الى علج عظيم وهو على فرسه فتعلقت به وما زالت به حتى نكسته عن جواده وقتلته وهي تقول : « هذا بيان، نصر الله المسلمين» ولما راى خالد رضي الله عنه تراجع الميمنة ، دعمها بنفسه وبستة آلاف ، فكبر وكبروا ونكل بهم نكالة عظيمة وردهم الى بعد مواقعهم .

ساعات فاصلة

(من يبايع على الموت)

تضعضع الروم وسارع خالد « بالقلب » حتى كان بين خيلهم ورجلهم وكان مقاتل الروم لا يدري ما العمل فمكانَ قتاله ، واسع المطرد ، ضيق المهرب ، فكلما وجدت خيلهم مذهبا ذهبت وتركت رجلهم في امكانهم ، وخرجت الخيل تشتد بالروم في الصحراء ، فلما راى المسلمون خيل الروم توجهت للهرب افرجوا لهم ، ولم يحرجوها ، فذهبت متفرقة في البلاد ، واقبل خالد والمسلمون على الرَّجْل ، ففضوهم وتراجعوا الى خنادقهم ، فاقتحم المسلمون عليهم خندقهم ، فصاروا يهربون الى « الواقوصة » ولكن المقترنون بالسلاسل هووا في الخنادق والوادي ، ومن صبر منهم « من المقترنين » للقتال هوى به من خاف وهرب ، أو قتل فسقط ارضا، فكان يهوي الواحد بالعشرة ، لانهم لا يطيقونه ، وكلما هوى اثنان كانت البقية اضعف ، فتهافت في « الواقوصة » ثمانون الف مقترن وذلك في بضع ساعات من النهار .

جمع « الفيقار » أشراف الروم ، ثم جلسوا وقالوا : لا نحب أن نرى يوم السوء ، اذا لم نستطع ان نرى يوم السرور ، واذا لم نستطع أن نمنع النصرانية ، فلفّوا رؤوسهم كي لا يروا شيئا ، وقتلوا وهم في هذه الحالة .

وفي اليوم الثاني : وقف عكرمة بن ابي جهل يومئذ وقال : « قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل موطن ، وأفر منكم اليوم ؟ » ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فبايع الحارث ابن هشام وضرار بن الازور واربعمائة من وجوه وفرسان المسلمين ، فقاتلوا في مقدمة فسطاط خالد حتى أصيبوا جميعا بجراحات ، وقتلوا الا من برأ من جراحه ومنهم ضرار بن الازور ، وأتي خالد بعدما أصبحوا بعكرمة جريحا فوضع راسه على فخذه ، وبعمرو بن عكرمة (الاب وابنه ، رضي الله عن الاب ورضي عن الابن) فوضع رأسه على ساقه ، وجعل يمسح عن وجوههما ، ويقطر في حلوقهما الماء .

ومن شهد هذا اليوم المشهود : الاشتر ، الذي شهد اليرموك ولم يشهد القادسية ، خرج رجل « في هذا اليوم الثاني » من الروم فقال : من يبارز ؟ فخرج اليه الاشتر ، فاختلفا ضربتين ، فقال « للرومي : خذها وانا الغلام « النخعي» (١) ، فقال الروم : أكثر الله في قومي مثلك ! اما والله لو أنك من قومي لآزرت الروم ، فأما الأن فلا أعينهم ، وهرب من البراز .

---

(١) ورد في الطبري ان الاشتر قال : خذها وانا الغلام الايادي ، والمعروف ان الاشتر « نخعي » ومن مذحج .

دامت المعركة يوما وبضع اليوم وكان الهجوم الاخير هجوما يمكن وصفه ان جميع المسلمين هجموا هجوم رجل واحد ، فارتد فيلق الروم فأصدر خالد امره **بالهجوم العام** ، واشتد المسلمون ، واندفع سيف الله على راسهم يهوي بسيفه ويخطف الارواح حتى شاركت النساء المسلمات الرجال في هذا الهجوم الاخير وكان من اكثرها حماسة « جويرية بنت الحارث ابنة هند بنت عتبة » وكانت المصيبة الكبرى التي اصابت الروم نتيجة لهروب فرسانهم وبقاء الرجالة يتلقون الضربة ، اقتحم خالد وجيشه خندق الروم وتساقطوا في الواقوصة يهوون ، وكان فيمن هوى فمات اخو هرقل « تذارق » .

انتهت المعركة باستشهاد ثلاثة آلاف من المسلمين منهم : عكرمة وابنه عمرو وسلمه بن هشام وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد وأثبت(١) خالد بن سعيد فلا يدرى أين مات بعد ، وجندب بن عمرو الدوسي ، والطفيل بن عمرو ، وطليب بن عمير بن وهب ، وهبار ابن سفيان ، وهشام بن العاص اخو عمرو .

وقتل من الروم (١٢٠) الفا أكثرهم سقطوا هاوين في الواقوصة، فكانت السلاسل وتقييدهم عشرة عشرة وبالا عليهم فما هوى واحد أو اثنان منهم في الوادي الا هووا معه ، وان لم يصابوا فقد كانوا يموتون لعمق الوادي وسقوط آخرين فوقهم .

سمع هرقل بخبر المعركة ونتائجها فارتحل من حمص مودعا

---

(١) اثبتت : اي جرح جرحا عميقا .

سورية وداعه الاخير : **«سلام عليك يا سورية ، سلاماً لا لقاء بعده»** لقد عرف أن هذا الشعب الذي خرج من جزيرته مؤمنا موحدا لا قبل له به فانسحب بسلام .

تابع المسلمون تطهير الاردن وجنوب سورية من الروم ثم لاحقوهم حتى دمشق ووصف القعقاع بن عمرو انتصار المسلمين في اليرموك فقال :

ألم ترنا على اليرموك فزنا ... كما فزنا بأيام العراق
فتحنا قبلها بصرى وكانت ... محرمة الخباب لدى التلاقي
قتلنا الروم حتى ما تساوى ... على اليرموك مفروق الوراق
فضضنا جمعهم لما استحالوا ... على الواقوصة البتر الرقاق
غداة تهافتوا فيها مضاروا ... الى أمر تعضل بالذواق

* * *

عزل خالد

قال عمر : « يا خالد ، والله انك عليّ لكريم ، وانك اليّ لحبيب » .

قال خالد : « سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين ، والله لو ولىّ عليّ الفاروق إمرأة لسمعت واطعت » . .

... بهذه الروح ... وهذه المحبة ، يجب ان نفهم مسألة **« عمر وخالد » رضي الله عنهما** .

لما وصل الى اليرموك حمية بن زنيم ومعه شداد بن اوس في صحبته ، قابل خالدا ، وأسر اليه ان أبا بكر قد لحق بالرفيق الاعلى، وسلم اليه كتاب عزله من الخليفة الجديد عمر رضي الله عنه . احتفظ خالد بالكتاب خوفا من أن ينتشر ما به بين الجند فيضعف من عزيمتهم على القتال .

كان الكتاب يحمل نبأ وفاة الصديق ونبأ خلافة عمر ، ويحمل أمراً بعزل خالد وتأمير أبي عبيدة . وبعد انتهاء المعركة ، واتمام النصر ، أعلن خالد مضمون الكتاب ، واعتزل الامارة ، ولولاها مكانه أبا عبيدة ، تقدم خالد الى أبي عبيدة وطأطأ رأسه احتراما واجلالا ـ له ولامر عمر ـ انحنى خالد احتراما للقائد العام الجديد لجيوش الاسلام قائلا : « مرني يا أميري فأنت القائد العام » وقال لحامل البريد الذي جاءه بأمر عزله : « بلغ أمير المؤمنين ان من حقه ان يعزلني عن القيادة ، ولكنه لا يملك ان يجردني من سيفي ، فسأظل حاملا هذا السيف في خدمة أمتي » . وأصبح خالد جنديا في الجيش تحت امرة أبي عبيدة .

قيل في سبب الخلاف بين عمر وخالد ، كلام كثير ، منه :

١ ـ تصارعا وهما طفلان ، فغلب خالد عمر ، فصارت **الفرصة مناسبة لعمر كي ينتقم من خالد ،** حان الوقت للثأر لنفسه . وهذا مرفوض عقلا لان المؤمن المسلم بعد تركه الكفر والجاهلية ودخوله

في حديقة الاسلام ، يلقى قاتل اخيه أو ابيه او ابنه ، فلا يثأر ، بعد أن آخا الاسلام بينهما « والاسلام يجُبّ ما قبله » ، **فبعد** الاسلام تموت حتما مثل هذه المشاعر اللهم ان وجدت !.. **فهذا** السبب مرفوض عقلا ...

يقول الشاعر :

من وحد العرب حتى صار واترهم
اذا راى ولد الموتور آخاه ؟

هي الحنيفة عين الله تكلؤها
فكلما حاولوا تشويهها شاهوا

فتحقيق معنى البيت الاول ، أولى الناس بتحقيقه عمر حيث ان ايمانه ويقينه بالله اقوى واعنف من أن يحمل حقدا في قلبه بعد اسلامه على بشر ، فكيف يحمله على سيف الله ؟ .

٢ ـ وقيل ان سبب عزل خالد ، انتصاره في « أُحد » لصالح قريش ، فلولا التفاف خالد وتطويق الرماة ثم قتلهم ، لما انتصرت قريش في أحد ، فقيل : **لم ينس عمر لخالد موقفه هذا يوم أحد ،** وهذا مرفوض أيضا لنفس اسباب رفض الراي الاول .

٣ ـ لما قتل « مالك بن نويرة » تزوج خالد زوجته ، فغضب عمر وكلم الصدّيق بالامر ، فعنف الصدّيق خالدا ، كيف يتزوج من امراة رجل لم يجف دمه بعد ، فعمر يرى ان خالدا قد تزوج امراة قبل قضاء عدتها فلا يصح هذا الامر ويجب معاقبة خالد **على هذه الفعلة .**

٤ ـ لما أمر الصديق خالدا أن يسير الى الشام من العراق ، ظن أن هذا عمل عمر وليس من الصديق ، فعمر يحسده على ان يكون فتح العراق على يده ، فظن خالد أن عمر لا يرضى له ان تصير شهرته بين الخافقين .

٥ ـ تصرف خالد ببيت المال أيام الصديق ، فكان أبو بكر يغفر له ذلك ولا يحاسبه . ومما قاله عمر لابي بكر : **اكتب الى خالد الا يعطي شيئا الا بأمرك .**

٦ ـ افتتن الناس بخالد ، واستماتوا تحت لوائه ، فلم يعودوا يحبون القتال الا تحت رايته **وظنوا ان راية يقودها خالد ، راية لا تهزم ، وجيش على رأسه خالد جيش انتصاره حتمي ، مما جعل عمر يخشى أن ينسى الناس ربهم ويذكروا خالدا ، والنصر من عند الله وليس من عند خالد ،** وفي ذلك يقول عمر في كتابه الذي وجهه الى الامصار : **((لم اعزل خالدا عن سخط ولا عن خيانة ، ولكن الناس فتنوا به ، فخفت ان يوكلوا ، ويبتلوا به فاحببت أن يعلموا ان الله هو الصانع والا يكونوا بعرض فتنته)) .**

وقال عمر لخالد : **((ما عزلتك لريبة فيك ، ولكن افتتن بك الناس فخشيت أن تفتتن بالناس)) .** واذا نظرنا الى وصية عمر الى أبي عبيدة وجدنا فيها وصية المخلص لهذا الجيش المحب لهذه الامة ، الموقن بالله ، العاشق للدار الآخرة ، المتناسي الدنيا فكيف ينزع خالد لامر شخصي ؟ يقول عمر في وصيته لابي عبيدة :

وأوصيك بتقوى الله يبقى ويفنى ما سواه ، الذي هدانا من

الضلالة واخرجنا من الظلمات الى النور ، وقد استعملتك على جند خالد ، فقم بأمرهم الذي يحق عليك ، لا تقدم المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلا قبل ان تستريده(١) لهم وتعلم كيف مأتاه ، ولا تبعث سرية الا في كتف من الناس ، واياك والقاء المسلمين في الهلكة وقد ابلاك الله بي وابلاني بك ، فغمض بصرك عن الدنيا ، واله قلبك عنها ، واياك ان تهلك كما اهلكت من كان قبلك فقد رايت مصارعهم »..

والعزل كان على مرحلتين :

١ ــ عزل عن قيادة الجيش في اليرموك .

٢ ــ وعزل عن كل الاعمال ومنها ولاية خالد على قنسرين .

وافضل من ناقش هذا الموضوع المرحوم العقاد رحمه الله ، والصاغ محمد فرح في كتابه « سيف الله خالد » ويمكن الاهتداء بآرائهما في المناقشة الآن ، ولكن قبل المناقشة والتحليل اقــول : يجب الانطلاق من منطلق : ان اصحاب رسول الله (ص) عدول ولا ينقصهم احد الا وبه نفاق . فاذا بلغ من صواب عمر اننا لا نحصي عليه خطأ غير عزله لخالد وما جرى مجراه ، فما اكثر هذا صوابا على الآدمي وان كان من اعظم العظماء ، يكفي عمر شرفا ورفعة انه لم يخطيء غيرها (ان اخطأ بها !!) ..

يجب ان نقر ان خالداً سيفاً من سيوف الله ، هيىء واعد لقيادة حروب ، شب على ذلك ، ونشأ وترعرع عليه ، حياته كلها جهاد

---

(١) يستطلعه لهم .

ـ بعد اسلامه ـ ففضائله لا تعد ، ومناقبه لا تحصى ، وعمر يجب ان تقر بعظمته وعبقريته في توجيه سياسة الدولة ، لقد انطبع في روحه : العدل بين الناس وحبه لتنفيذ احكام الله ، ومحاسبته الدقيقة لولاته ففضله يقــره القريب والغريب ، وعظمته مــكان اعجاب الصديق والعدو .

خالد الذي شب في القتال ونشا في الحروب وعاش لياليه وساعات نهاره فيها لا يرى حرجا ان يتزوج ليلة كان قبلها بساعات قد قتل عشرين وطعن مائة ، لانه اعتاد رؤية مناظر الحروب ولكن ذلك يصعب على عمر ، وكلاهما محق في وجهة نظره . فكلاهما من رجال هذه الامة الخالدة ، ومن عظمائها ، وحسب ابن آدم ان تعد معايبه ان وجدت فيه عيوب ، وشاء بعضهم أن يتخذ من سوء التفاهم هذا محور حديث وتعظيم ونشر ودراسة غير موضوعية ولم تنطلق من منطلق احترام الرجلين لكبر مقامهما وفضلهما عمر في العدل والسياسة وتنفيذ احكام الله والثاني في الفتوح والجهاد رغم قلة ما كان معه وضعف عَدَدِه مع قلة العدد .

وللمرحوم العقاد راي وجيه في هذا الموضوع نلخصه بما يلي :

... ينبغي أن نفهم كل علاقة كانت بين عمر وبين احد من كبار الصحابة والتابعين على أساس ان عمر وضع الحق فوق كل قدر ، عند هذا القسطاط الذي يعطي كل ذي قدر قدره ، كان عمر قد أعطى كل انسان حقه وقدره حيث ينبغي له فقدم عمر من قدم ، وأخر من اخر لا بهواه وبمزاجه بل قدم من قدم بعمله وأخر من اخر

بعمله ، ولا عليه من غضب الغاضبين ولوم اللائمين ـ **وعلى هذا** الوجه نفهم كل علاقة بينه وبين احد من عامة المسلمين ، **فلكل رجل** حقه ، ولكل عمل حقه ، ولا ضير على احد ان يتأخر قدره **ويتقدم** عمله ولا ينفع احدا ان يتقدم قدره ويتأخر عمله ، **فكل عمل وله** حساب ، وكل قدر وله كرامة ، فأكبر الصحابة قد يسبقه **اصغر** الناس اذا كان يستحق جزاء مناسبا حسنا ، وكل قسطاس غير هذا القسطاس فانما يعارضه عمر لظلم أو لخوف ، وليس هـذا وذاك سبيل عمر ، فعـدله ارقى من الشك ، وعلى هـذا الضوء نلتمس الآن تأويل محاسبات عمر ومعاملاته اذا وقع منها ما يحتاج الى تأويل ، وعمر هو أول من يحاسب نفسه ، وفي جميع محاسباته للقادة والولاة وضعت هذه المسألة موضع الصدارة ، وهي عادية ، وكذلك مع خالد ، فما صنعه عمر صنعه مع كل ولائه ، **فالجميع** عند عمر سواء في نظره .

● عزل عمر خالد وهو سيف الاسلام ، فقال الناس : منافسة الند للند ، والشبيه بالشبيه ، وقـالوا : انها حقد قديم . وأول ما يذكر لعمر حسن نيته ، وطيب سريرته ، انه **صان للقائد الكبير كرامتـه** ، فكتب الى **الامصار** : انه لم يعزله لسخط ولا لخيـانة ، ولكن الناس فتنوا به ... خشي عمر ان يوكلوا به ويفتنوا ، فأحب ان يعلم الجند والناس عامة ان النصر من عند الله ، ان الله هو الصانع والا يكونوا بعرض الفتنة ...

● **ان عمر لم يحاسب خالدا بميزان غير الذي حاسب به جميع**

ولاتـه ، فعمر لم يظهر انه انكر من خالد شيئا كان قبله من غيره ، وانه نصب له ميزانا غير الموازين التي يحاسب بها القواد والولاة ، وكل صاحب عمل مسؤول ، كره عمر من خالد الاسراع الى القتال وهو الذي كان ينتقي للحروب « الرجل المكيث » وكان يتحرج أن يستبيح دم مشكوك فيه ، فأنكر على خالد : سرعة هجماته وشدة صدماته ، هي سُنّة عمر لا شذوذ فيها ، انتقد على خالد توزيعاته وهباته المالية ولو أن عمر لم يفعل ما عمل لكان ذلك شذوذا ، وعمر معروف انه لا يحابي ولا يخشى في الله لومة لائـم وخاصة في « ياسته العليا » ، لقد عزل عمر ولاته لخوف اما ان يفتتن بهم الناس فيفتتنوا هم بالناس ، فعمر يهمـه أن يبقى قلب مـن ولاه وقلوب من ولّي عليهم ، كل هذه القلوب متعلقة بالله ، وبالله وحده ، وفي يوم من الايام دخل خالد على ابي بكر بعد مقتل مالك بن نويرة وفي عمامته اسهم ، غرسها للمباهاة ، فقـام عمر حينئذ فنزعهـا وحطمهـا .

● ودليل آخر لطيب عمر وان ميزانه لم يتغير قوله لخالد : « **يا خالد والله انك علي كريم وانك الي لحبيب ولا تعاتبني بعـد اليوم على شيء** » . فعمر ما خطر بباله حقد على خالد ، الا تكفينا شهادة داهية العرب « عمرو بن العاص » حين شهد بعمر فقال . « **لله در عمر أي رجل كان** » ! كلمة قالها رجل يعرف الرجال ، فعمر رجل لا يسهل نقده ، ولا يتأتى لانسان ان يحاسبه كما حاسب هو نفسه ، ولا يقع الخلاف بينه وبين منصف الا على انه اختـلاف في الامزجة وتركيب العقول ، وعمر بشجاعته وثاقب بصيرته عرف

ان بعضهم قد لا يفهم مغزى عزله لخالد ، لذلك أوضحها بكتابه للامصار ، وقال وهو يخطب في الجابية لينهي كل تقول :((**أني أعتذر اليكم عن عزل خالد بن الوليد**)) ، لوضع حد لكل من لم يفهمه بعد ولينهي على وساوسه .

● ودليل آخر على حب عمر لخالد قول عمر عندما وصله نبأ وفاة خالد : ((**قد ثلم في الاسلام ثلمة لا ترتق**)) ، رغم كل هذا التوضيح لم يفهم عمر أناس كثيرون فقال بعضهم : « لم يكن هـذا رايك فيه » فقال كي تزول الاوهام من النفوس وانه مافعل الذي فعل الا لحرصه على اموال الامة وسلامة قلوب العباد : ((**ندمت على ما كان مني اليه**)) .

● ولما علم عمر انه لم يترك من حطام الدنيا غير فرسه وغلامه وحسامه فقط من فتح الفتوحات وكسر الاباطرة والاكاسرة وغنم من الاموال ما غنم ، لم يترك من حطام الدنيا شيئا يذكر ، كله في سبيل الله ، ولله وحده ، قال عمر لما علم بهذا : ((**رحم الله أبا سليمان كان على غير ما ظنناه عليه**)) ، ظن بتصرفه بالمال وهباته للناس ، فعلم علم اليقين الآن رضي الله عنه وعن خالد ان خالداً كان ينفق في سبيل الله ولم يتخير لنفسه .

● ودليل آخر على حب عمر لخالد : كان عمر ينهى عن الندب والعويل ، فلما مات خالد واجتمع بنات عمر يبكينه ، يبكين القائد والمجاهد ، وسئل عمر أن ينهاهن ، قال : « دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة ، **على مثله تبكي البواكي** .

● ودليل آخر لحب عمر لخالد عندما قال للشاعر المخزومي الذي مدحه بعد وفاته :

« **قصرت في الثناء على ابي سليمان رحمه الله** ، انه كان ليحب ان يذل الشرك واهله وان كان الشامت به لمتعرضا لمقت الله ، رحم الله أبا سليمان ، ما عند الله خير له مما كان فيه » .

واخيرا ...

« ومن الحق ان يقال ان قضية خالد قد أرتنا مروءة خالد كما أرتنا مروءة عمر ، وقد عرضت لنا هذا البطل في صفحتيه ، فاذا هو بطل الفؤاد في ولايته وبعد عزله ، وفي شدته على عدوه وطاعته لاميره ... وما على مثله من ضير أن يحق عليه العزل في ميزان عمر بن الخطاب فذاك ميزان تعلو فيه الكفة ولا يزال صاحبها راجحا أي رجحان .

وقد استحق المجد بيقين واستحق العزل بظن ، ولولا مصلحة أعلى من مصلحة الابقاء على رضاه لكان ذلك الظن حقيقاً بالغض عنه والتجوز فيه ...

وكفى بالرجلين فضلا ان يختلفا ومن وراء اختلافهما فضل يعترف به كلاهما ويعترف به كل محب وشانىء وكل منصف وجاحد ، وما نخال ان تقديرنا لخالد وتقديرنا عمر يدعونا ان ننصب الميزان في هذه القضية من جديد ، فقصارى ما نغنم من ذلك ان خالدا كان جديرا بالبقاء في منصبه ولم يكن مستحقا لعزله ، وليس ذلك بشيء الى جانب ما رأيناه حين نصب الميزان في القضية كما

نصبه خليفة الاسلام ، فقد ارانا عدلا اعظم من بطولة الابطال . فان اخطأ البطل ـ على تقدير خطئه ـ فالعدل اعظم منه واحرى ان يتعقبه كانه من أضعف الضعفاء ، وذلك ميزان اشرف لعمر ولخالد وللاسلام من كل ميزان » .

رحم الله عمر وخالدا ، فالاول بطل من أبطال العدل وتنفيذ الاحكام ...

والثاني بطل أبطال الجهاد والفتوحات .

وكل ميسر لما خلق له .



بطولات بعد اليرموك

● الفارس الذي كان يقاتل عاريا الا من شيء يواري عورته ... انه ضرار بن الازور .

اراد ابو عبيدة ان يسير بعد اليرموك جيشا لملاقات « وردان الرومي » صاحب حمص ، فقال له خالد : « يا امين الامة اني أعرف رجلا لا يخاف الموت ، خبيرا بلقاء الرجال قد مات ابوه وجده في القتـال » .

ابو عبيدة : « من هذا الرجل يا ابا سليمان ؟ » .

خالد : « هو ضرار بن الازور » .

ابو عبيدة : « والله لقد صدقت ووضعت رجلا باذلا معروفا فافعـل » .

رجع خالد الى خيمته واستدعى ضرارا فجاء اليه فقال خالد : « يا ابن الازور ، اني اريد ان اقدمك على خمسة آلاف قد باعوا انفسهم لله عز وجل ، واختاروا دار البقاء على الاولى ، وتسير الى لقاء العدو ، هؤلاء القوم الذين وردوا علينا ، فان رأيت لك منهم طمعا ـ بالنصر ـ فقاتلهم ، وان رايت انك لا تقدر عليهم فابعث الينا برسولك » .

فقال ضرار : « وافرحتاه ، والله يا ابن الوليد ما دخل قلبي فرحة أعظم من هذه » .. ثم جمع خالد لضرار الجند ، وسار ضرار حتى وصل الى « بيت لهيا » فوقف هناك حتى لحق به جميع أصحابه ، ثم اقترب من عدوه ، فوجده جيشا كبيرا ، فاقترح بعضهم ان يرجعوا ... فقام رافع بن عميره الطائي وقال : ياقوم وما الخيفة من هؤلاء العلوج ، أما نصركم الله في مواطن كثيرة والنصر مقرون مع الصبر ، ولم تزل طائفتنا تلقى الجموع الكثيرة والجموع اليسيرة ، فاتبعوا سبيل المؤمنين وتضرعوا الى رب العالمين، وقولوا كما قال قوم طالوت عند لقائهم جالوت ((**ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين**)) . فقرر الجميع المجابهة ولقاء جيش « وردان » فكان اول من برز للروم قائد الكتيبة « ضرار بن الازور » ، عاري الجسد الا من ازار يواري عورته ، تقدم على فرس وبيده قناة وهو يهتف الله أكبر ... ويحمس القوم ويوصيهم ، وكان رضي الله عنه يقاتل بهذا الشكل رغبة منه بالشهادة .

هال الروم منظر هذا الرجل لشكله وجرأته ، هالهم هذا الفارس الذي يطلب قائدهم « وردان » للنزال ، يتردد قائد الروم لكن ضرار يتقدم نحوه فاذا فارس رومي يتقدم الى ضرار معترضا فقتله ضرار بحربته ، وتراجع وردان الى الخلف فقالت البطارقة : (الى اين ايها السيد ؟ اتفر من « الشيطان » فما رأينا أدنى من منظره ولا اهول من مخبره) . نظر ضرار الى وردان وهو منعطف الى الوراء فعلم انه قد عزم على الهرب ، فصاح ضرار :

الموت حق أين لي منه المفر   وجنة الفردوس خير المستقر
هذا قتالي فاستعديامن حضر   وكل هذا في رضا رب البشر

وسار بين جند الروم يريد « وردان » لكن الروم احدقوا بـه ورماه « همدان بن وردان » بسهم اصابه فأوهنه فأحس ضرار بالالم فحمل على همدان فضربه ضرار برمحه ولما سحبه خرج الرمح من غير سنان ، فطمع الـروم به ، وحملوا عليه واخـذوه اسيرا .

نظر الجند الى ضرار يؤسر ، فصعب عليهم الامر ، وقاتلوا بقوة ليخلصوه ، فما استطاعوا ، فقرروا التراجع ، فقال رافع بن عميرة : يا اهل القرآن ، الى أين تريدون ؟ ، أما علمتم أو مَن ولى ظهره لعدوه فقد باء بغضب من الله ؟ وان الجنة لها ابواب لا تفتح الا للمجاهدين ... الصبر الصبر ... الله الله ... الجنة الجنة » .

بلغ خالد الخبر برسول أرسل من الجيش ، فقال رضي الله عنه : « كم العدو » ؟ قالوا : « في اثني عشر الف فارس » فقال : « والله ما ظننت الا انهم في عدد يسير » ، ثم سأل عن مقدمتهم من يكون ؟ فقيل له : « وردان صاحب حمص ، وقد قتل ضرار ولده » . فاستشار خالد ابا عبيدة ، فأشار عليه ان يترك على الباب الشرقي بدمشق من يثق به وان يسير اليهم ، فقال خالد : « والله ما انا ممن يبخل بنفسه في سبيل الله » فوضع على الباب الشرقي ميسرة بن مسروق العبسي ، ومعه الف فارس ، واوصاه ان يثبت في مكانه ولا يغادره ، ثم عطف خالد ناس وقال لهم : « اطلقوا

الاعنة وقدموا الاسنة ، فاذا أشرفتم على العدو فاحملوا حملة واحدة ليخلص فيها ضرار ان شاء الله تعالى ، ان كانوا أبقوا عليه ، والله ان كانوا عجلوا عليه لنأخذن بثأره ، تقدم خالد وهو يقول :

اليوم يوم فاز فيه من صدق   لا أرهب الموت اذا الموت طرق
لاروين الرمح من ذوي الحدق   لاهتكن البيض هتكا والدرق
عسى أرى غدا مقام من صدق   في جنة الخلد وألقى من سبق

وأثناء الاشتباك مع جند العدو ، رأى خالد فارسا بيده رمح طويل وهو لا يظهر منه الا الحدق ، والفروسية تلوح في شمائله ، وعليه ثياب سود ، وقد حزم وسطه بعمامة خضراء وسحبها على صدره ومن ورائه ، وقد سبق أمام الناس ، فقال خالد : « ليت شعري من هذا الفارس ؟ » فتبعه خالد والناس وقاتلوا قتالا شديدا وخرج هذا الفارس الملثم من بين الصفوف وسنانه ملطخ بالدماء بعد أن عرض نفسه للهلاك مرارا ، وظن بعضهم ان هذه الحملات لا يكون مثلها الا لخالد ، ولكن خالد بينهم ، رجع هذا الفارس الملثم الى الاعداء فأقبل رافع بن عميره وسأل خالد : « من يكون الفارس » . فقال خالد : « والله انني أشد انكارا منكم له ، ولقد اعجبني ما ظهر منه ومن شمائله » . قال رافع : « انه منهمك بين الروم » . قال خالد : « معاشر المسلمين احملوا باجمعكم وساعدوا المحامي عن دين الله » فوصل خالد اليه ودافع عنه والفارس الملثم فخضل بالدماء ، فقال له خالد : « لله درك ، اكشف لنا عن لثامك » ، فمال الفارس عنه ، ولم يخاطبه ، وانغمس في قتاله ... ثم رجع الى جيش المسلمين فتقدم يخاطبه خالد مع كوكبة من جنده ، وقال :

« ايها الفارس الكريم من انت ؟ » ، فلم يجب ، فقال احدهم : « أيها الرجل الكريم ، اميرك يخاطبك وانت تعرض عنه ، اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد تعظيما » فلم ينطق الفارس الملثم ، فقال خالد : « ويحك لقد شغلت قلوب الناس بفعلك ، من انت ؟ » ، فلما الح خالد ... خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان انثى : **((انني يا أمير ، لم اعرض عنك الا حياء منك لانك سيف الله ، لانك أمير جليل ، وأنا من ذوات الخدور ، وربات الستور ، وانما حملني على ما رأيت انني محرقة الكبد زائدة الكمد))** فقال لها : « من انت ؟ » ، قالت : **((أنا خولة بنت الازور ، المأسور بين المشركين أخي ، وقد جئت اتبعكم لما قال لي الساعي ان ضرارا أسير** ، فلما راى خالد ما ظهر من هذه المراة ، حمل وحمل معه الجميع حملة فاصلة اضطربت بها جيوش وردان وانسحبت شمالا ورجع المسلمون الى مواقعهم ، واخذت خولة تسأل عن اخيها ، وسأل ترجمان الاسرى فلم يجب احد فأيست خولة منه فبكت ، وجعلت تقول : **((يا ابن امي ليت شعري ، في أي بيداء طرحوك ، أم بالحسام قتلوك ؟ ، يا أخي اختك لك فداء ، ليت شعري أترى اني أراك بعدها ؟ لقد تركت يا ابن أمي في قلب اختك حجرة لا يخمد لهيبها ولا يطفأ ، يا ابن أمي ألحقت بأبيك المقتول بين يدي النبي (ص) ؟ فعليك مني السلام .. عليك مني السلام ... عليك مني السلام ...))** .

فبكى الناس من قولها ودمعت عين خالد لكلامها ، وفي اثناء ذلك تقدم فرسان من الروم ، فتهيأ القوم ولكنهم ترجلوا عندما اشار الفرسان بالامان ، فقال خالد : « من انتم ؟ » فقال رجل

بالعربيّة نحن جند هذا الرجل « وردان » ومقامنا حمص ، وقد تحقق عندنا ما يطيقكم ولا يستطيع حربكم ، فاعطونا الامان، واجعلونا من جملة من صالحتم من سائر المدن ونؤدي لكم الجزية التي اردتم في كل سنة ، وكل من في حمص يرضى بقولنا » ، فقال خالد : « اذا وصلنا الى بلادكم لن يكون الا الصلح ان شاء الله ، أما هنا فلا نصالحكم وكونوا معنا الى ان يقضي الله ما هو قاض ، ثم قال لهم خالد : « هل عندكم من صاحبنا الذي قتل ابن صاحبكم ؟» قالوا : « لعله عاري الجسد الذي فجع صاحبنا في ولده ؟ » قال خالد : « عنه سألتكم » قالوا : « بعثه وردان اسيرا على بغل ووكل به مائة فارس ، وانفذه الى حمص » ، فرح خالد بقولهم ثم دعا برافع بن عميرة الطائي وقال له : « يا رافع ما أعلم احدا أخبر منك بالمسالك وانت الذي قطعت بنا المفازة من ارض السماوة وأعطشت الابل وأوردتها الماء ، واورتنا « اركـة » وما وطئها جيش قبلنـا لمفازتها ، وانت من خيرة اهل الارض في الحيل والتدبير ، فخـذ معك ما أحببت واتبع أثر القوم فلعلك ان تلحق بهم وتخلص صاحبنا من أيديهم ، فلئن فعلت ذلك لتكونن الفرحة الكبرى »، فقال رافع : « حبا وكرامة » ، وفي الحال انتخب مائة فارس شدادا من المسلمين وعزم على المسير ، فأتت البشرى الى خولة بمسير رافع ومن معه في طلب أخيها ضرار فتهلل وجهها فرحا وأسرعت الى لبس سلاحها وركبت جوادها وأتت الى خالد ثم قالت : « أيها الامير سألتك بالطاهر المطهر محمد سيد البشر الا ما سرحتني مع من سرحت ، فلعلي أن اكون مشاهدة لهم » ، فقال خالد لرافـع : « السمع

والطاعة » وارتحل رافع ومن معه وخولة تسير في اثر القوم الى ان اقتربوا من « سليمة » فنظر رافع ومن معه الى القوم يبحثون ، فلم يجدوا اثرا لهم ، فقال لاصحابه : « ابشروا فان القوم لم يصلوا الى ههنا ، فكمن بهم في « وادي الحياة » وبينما هو في كمينهم اذ بغبار لاحت ، فقال رافع : « ايقظوا خواطركم وانتبهوا » فبقي القوم في يقظة في انتظار عدوهم ، واذا بهم قد اتوا وهم محدقون بضرار » يسير على قدميه والحديد بيديه اما هم فعلى جياد من حوله ، ففاجأهم المسلمون على حين غرة ، ودار قتال قصير ، ولكنه شديد ، فخلص رافع ومن معه ضراراً ، فقتلوا من قتلوا وهرب من الروم من هرب ناجيا بروحه ، وعاد رافع الى خالد ومعه ضرار فهنأه بالسلامة ، واثنى خالد على رافع بكلمات فيها تشجيع القائد العام الى قواد الفرق ، تقديرا لانجازهم المهمات ، واقرارا بجهودهم المثمرة واعجابا بتضحيتهم وصدقهم في طلب الشهادة ، عـاد خالد ورافع الى دمشق وفرح المسلمون بنصر الله .

سؤال قد يخطر ببال ...

هل قاتلت خولة في سبيل الله ؟ أم قاتلت في سبيل تخليص اخيها من الاسر ؟ ...

الحق انها قاتلت في سبيل الله ، ليبقى هذا المغوار يضرب في نحور اعداء الله ، لو قاتلت لاجله ولاجل تخليصه لرجعت به الى دارها في المدينة وقد تحقق لها تخليصه ، وكانت خولة قد طلبت منه الخروج الى الجهاد قبل اليرموك ، وقاتلت في اليرموك مـع

أخيها في الصفوف الاولى ، وفي ساحات المعركة الحاسمة كانت ساعة تداوي وساعة تحمس وساعة ترد الفرسان والخيل ، فمن طاب الخروج الى حيث يدري : انها الحرب ، قتل ودماء فمن خرج لهذا ، خرج في سبيل الله وتخليص أخاه لله أيضاً ، ليبقى في مقدمة الجند ويكسب الشهادة كما كسبها أبوه من قبله ، ليكسب الشهادة وهو في الصف الاول مقبل على اعدائه غير مدبر ، عندها تفرح خولة لهذا الفوز وتهنأ به ، رجعت خولة الى اسوار دمشق هي وأخوها وهناك اشتركا في القتال وفي الحصار حتى كتب الله لها ولاخيها الشهادة عند السور الشرقي ، وما زال ضريحها على بعد عشرات الامتار من السور وبجوارهما شرحبيل بن حسنة، وضريح ضرار مهلهل مهدم مجمع للقمامة أليست الامة تدري ان في داخل هذا الضريح أسدا هصورا وسيفا من سيوف الله ، حبذا لو حسن هذا الضريح ، تقديرا من أمتنا لأبطالها ...

فأمة لا تقدر عظماءها ، أمة لا تعرف العظمة .

وأمة لا تقدر ابطالها ، أمة لن تسطر البطولات في ميادين حياتها.

((والحمد لله رب العالمين))

خاتمــة

في القرآن الكريم معجزات كثيرة تثبت انه وحي يوحى ، من هذه المعجزات ما هو علمي او كوني او تاريخي .. منها ما تحقق وجاء العلم مطابقا له وكان الفضل في السبق الى كتاب الله عز وجل ، ومنها ما اثبته القرآن عقيدة في نفس المسلم ، لكن قد يحتاج الى سنوات ــ تقصر او تطول ــ حتى حين تحقيقها علميا كما جاءت في كتاب الله من قبل .

من اعجاز القرآن الذي يناسب كتابنا هذا . قوله تعالى في سورة الروم :

« آلم . غُلِبَت الروم . في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سَيَغلِبُون . في بضع سنين . لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ، بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » .

فبدات السورة بحروف الالف واللام والميم للاستدعاء والتنبيه، ثم تبع ذلك انكسار الروم في البلاد المتاخمــة للحجاز « ادنى الارض » وهي بلاد الشام ، وبشرى بنصر يحرزه الروم خلال بضع سنين وهذا وعد الهي محقق لها من الله لا يخلف وعده ، ولو ان

اكثر الناس لا يعرفون الحقائق وان كل ما يعرفونه هو بعض امور الظاهر من شؤون الحياة الدنيا ، في حين انهم غافلون عن الآخرة ، مع ما هي عليه من خطورة الشأن .

والآية نزلت في ظروف كانت فيها الحرب بين الروم والفرس مسرحها بلاد الشام وجزيرة الفرات ، انتصر الفرس فيها ، ففرح مشركو مكة بذلك وشمتوا بالمسلمين الذين كانوا في مشاعرهم مع الروم لانهم أهل كتاب ، فشق ذلك على المؤمنين واحزنهم فجاءت الآية بشرى تكيد المشركين في مكة « وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين » ثم جاء خبر ما سيحدث بعد انتصار الروم الا وهو انتصار المؤمنين المسلمين » « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ، وعد الله ، لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

وهذا ما حدث حسب اخبار القرآن الكريم ، وهذا من اعجازه ، وهذا مع غيره من المعجزات اثبات ان هذا الكتاب من عند الله عز وجل وليس من تأليف البشر .

ومما جرى عند انكسار الروم ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه راهن أمية بن خلف ـ وكان الرهان لم يحرم بعد ـ وجعل الامد خمس سنين او ست سنين وأعلم النبي (ص) بذلك فقال له : مد الاجل لان « بضع » يمتد من ثلاث سنين الى تسع ، ففعل وانتصر الروم وكسب ابو بكر الرهان واسلم كثير من المشركين على أصح الروايات .

فهذا القرآن الكريم منذ نزوله الى يومنا هذا وهو في جـدة فكل جيل يرى المعجزات في آياته . ويكفي لختام هـذه الخاتمـة ان نـذكر قوله تعالى :

« كتـاب أحكمت آياتـه »

« صدق الله العظيم »



المحتوى

صفحة

كتب للمؤلف

١ ـ القادسية (طبعة ثانية) ٠
٢ ـ اليرموك ٠(طبعة ثانية)
٣ ـ نهاوند « فتح الفتوح » (الطبعة الثانية
٤ ـ حصن بابليون وذات الصواري ٠
٥ ـ فتح الأندلس « معركة وادي لكة » ٠
٦ ـ الانسان بين العلم والدين (طبعة ثانية)
٧ ـ الاسلام في قفص الاتهام (طبعة ثانية) ٠
٨ ـ غريزة ٠٠ أم تقدير إلهي ؟٠
٩ ـ من ضيع القرآن ؟
١٠ ـ الاسلام وحركات التحرر العربية ٠
١١ ـ آراء يهدمها الاسلام ٠
١٢ ـ هارون الرشيد « الخليفة المتهم ! » ٠

★ ★ ★

كتب قيد الاعداد أو الطبع

★ القرامطة في الميزان ٠
★ جرجي زيدان في الميزان ٠
★ بلاط الشهداء « بواتييه » ٠

تطلب من دار الرشيد

دمشق ـ حلبوني ـ تجاه ثانوية أسعد عبد الله

ص٠ب ٢٤١٣

من منشورات دار الرشيد

★ النحلة تسبح الله (طبعة ثالثة)

★ سلسلة (قصص من التاريخ) للاستاذ محمد حسن الحمصي

١ ـ الدين الحق (طبعة ثالثة)

٢ ـ فاين الله ؟ (طبعة ثانية)

٣ ـ الايمان والزنزانة المتجولة (طبعة ثانية)

٤ ـ أم لا كالأمهات (طبعة ثانية)

٥ ـ صراع بين الفضيلة والرذيلة (طبعة ثانية)

٦ ـ مهد البطولات (طبعة ثانية)

★ سلسلة شعب الايمان : للاستاذ محمد حسن الحمصي

١ ـ الايمان بالله تعالى

٢ ـ الايمان بالرسل (يصدر قريبا)

★ مجموعة حكايات حارثة للاستاذ عبد الودود يوسف ٠

★ حكايات عن القرآن الكريم للاستاذ عبد الودود يوسف ٠

★ المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي الدكتور فتحي الدريني

وهو كتاب يجمع بين الدراسة القانونية والدراسة الشرعية